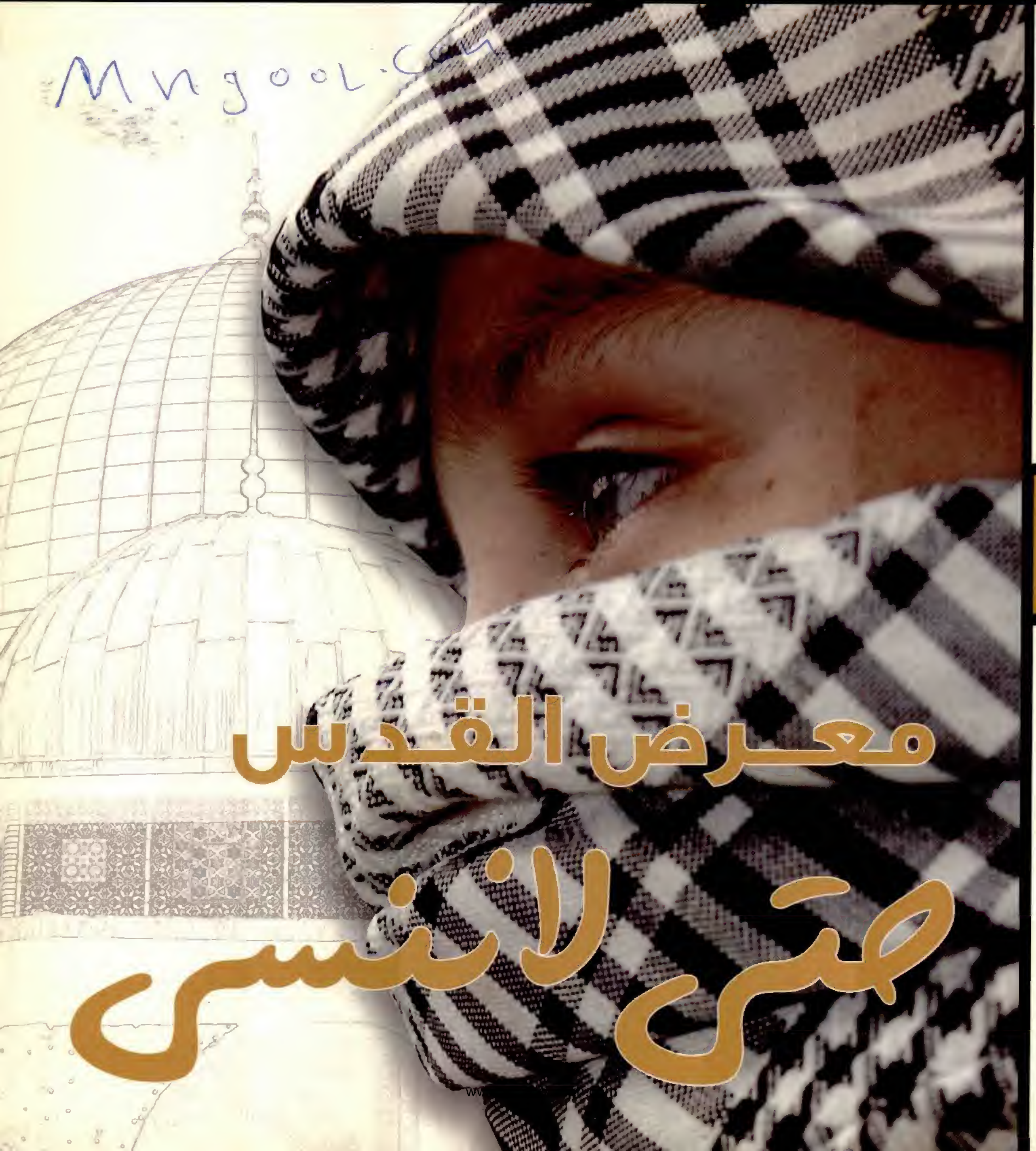
الفيصل

- وادي حنيفة.. عاد مجدداً رئة للرياض
- ابن بطوطة في سواكن السودان
- د. عبدالرحمن صالح: المعلّمون أضروا الفصحى
- أطفالنا والقيم الوافدة

مجلة ثقافية شهرية - الجماديان ١٤٣١هـ/ أبريل- مايو ٢٠١٠م





المحتويات

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعودياً للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعودياً للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠

ردمد ٠٤١١ ـ ٨٥٢٠

الناشر

دار الف[illegible]



إسهامًا في أن تظلّ قضية القدس حيةً في الذاكرة العربية؛ أقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية معرض (القدس الشريف وفلسطين). وقد رعى حفل الافتتاح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز - أمير منطقة الرياض - ورئيس الوزراء التركي رجب طيّب أردوغان.

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
  في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٨٠٠ فلس. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٧٥٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤ جنيهات. السودان ١,٥ جنيه. المغرب ١٠ دراهم. تونس ١,٢٥٠ دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١). فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٢٣٩١٠٩٥. فاكس ٢٣٩١٠٩٦. ٢٠٢...، سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢. فاكس ٢١٢٢٥٣٢. ١١. ٠٠٩٦٣، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣ نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩. ٧١. ٢١٦. ٠٠، قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١. فاكس ٤٦٣٥١٥٢. ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٢١٢٨١. ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١، الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥، المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢. ٠٠٢١٢. ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣. الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢٠١٩٠١/٢. ٣. ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

- متى موقع (الفيصل)؟

لقد ظللتُ أتابع مجلة (الفيصل) منذ عقود، ويزداد ارتباطي بها يوماً بعد يوم؛ لما تشتمل عليه من ألوان الثقافة التي تنير لنا دروب الحياة، وتفتح العقول على الجديد المفيد.

وبسبب ما شهده العالم من تطوّر تقني مذهل، وما أصبح للإنترنت من تأثير طاغ؛ بفضل المواقع الإلكترونية التي باتت تمثّل مصدراً مهماً للمعلومات والتواصل بين الناس من مختلف المستويات؛ فإنني وددتُ لو تم إطلاق موقع إلكتروني للمجلة يمكّننا من الاطلاع على أعداد (الفيصل) التي ترتبط في ذاكرتنا بأجمل الصور.

وكانت فرصتي كبيرة بنشركم إعلان متكرّر عن قرب موعد إطلاق هذا الموقع، وما زلتُ أترقب هذا الحدث، الذي سيعدّ كبيراً على المستوى الثقافي العربي؛ بسبب مكانة مجلة (الفيصل) في الواقع الثقافي. ويدفعني هذا الترقب إلى السؤال: متى سيصبح هذا الحلم حقيقةً؟.

آمل أن يكون ذلك قريباً مع وافر تقديري ومحبتي.

فيصل عبداللطيف أحمد

الرياض - السعودية

- التحرير

نشكر لك هذا الارتباط بمجلتكم، ونقدّر ترقُّبك إطلاق موقع المجلة الإلكتروني. ونزفّ إليك البشرى بأن الموقع تمّ إطلاقه مؤخراً، وهو متاح للجميع، وعنوانه: www. alfaisal-mag.com نأمل اطلاعكم واطلاع القرّاء الكرام، وتزويدنا بآرائكم ووجهات نظركم حتى يمكننا تطوير الموقع، وتقبّل وافر تقديرنا.

- العلمية والأدبية

أطالع إعلانات عن إصدارات للمركز ودار الفيصل الثقافية، وأعجبني وجود مجلتين أخريين، هما: (الفيصل العلمية)، و(الفيصل الأدبية). ومع عدم اطلاعي عليهما فإنني آمل الحصول عليهما، والمشاركة بالكتابة فيهما، خصوصاً في المجلة العلمية، وليتكم تدلونني على طريقة الحصول عليهما؛ لمعرفة منهجهما حتى يمكنني تحديد ما يناسبهما.

وتقبلوا تقديري.

سوسن البدري

القاهرة - مصر

- التحرير

نشكر لك حرصك على الحصول على المجلتين والمشاركة فيهما، ويسعدنا الترحيب بك كاتبةً في أيّ إصدار ترينه مناسباً، علماً أن المقالات وكلّ ما يرد إلى مجلات دار الفيصل من موادّ تخضع للتقويم الموضوعي من خلال لجنة تحكيم تضم نخبة من الأساتذة المختصين.

وللحصول على أيّ إصدار للمركز ودار الفيصل يمكن



الاتصال على: ٤٦٥٢٢٥٥ تحويلة ٦٦٤٠، كما تجدين العناوين الخاصة بالاشتراكات مع القسيمة الخاصة، وتقبّلي تحياتي.

• رسالة من العراق

من دواعي سروري وسعادتي أن أكتب إليكم رسالتي هذه معبّرةً عن أصدق مشاعر الود والاحترام، سائلةً الباري تعالى أن ينعم عليكم بوافر الصحة والعافية والتوفيق الدائم.
إنني أهوى قراءة المجلات والمطبوعات الثقافية والأدبية والعلمية الهادفة وأتابعها أينما وجدت، وأعجبتني مجلتكم الرائعة، فتصفّحت المواقع الإلكترونية، ولكن عجزتُ عن الحصول عليها؛ مما سبّب لي حزناً شديداً.
إنني من خلال هذه الرسالة أرجو منكم تزويدي بالمجلة، سواء إرسال أعداد منها، أو تسجيل اشتراك لي فيها، وذلك لصعوبة الحصول عليها؛ لأن البلد يعيش في ظلّ ظروف صعبة، والمجلة لا تصل إلى الأسواق العراقية.
أرجو منكم ألاّ تحرموني من هذا الزاد الثقافي المهم، وبودي المشاركة بإرسال إنتاجي الثقافي إليكم، آملةً أن أتلقى رداً إيجابياً منكم.
وتفضّلوا في الختام بقبول وافر التقدير والاحترام.

خولة رحمة عيسى
النجف - العراق

• التحرير

نشكر لك رسالتك، ونطمئنك بأن الموقع الإلكتروني للمجلة قد انطلق مؤخراً، وهو متاح للقراء الكرام، ويشتمل على أرشيف (الفيصل) منذ بداية صدورها، وبدأ تنزيل الأعداد، وسيتم قريباً اكتمال الأرشيف، ونأمل أن يكون الموقع مفيداً للجميع. ونتمنى تواصلك مع مجلتك.

• جمال فتّان!

هي زهرة عاشقة للشمس، تدور حيث دارت، فاستحقّت أن تُنسب إليها، سواء تسمّت بعبّاد الشمس أو دوّار الشمس.
ولونها المبهج يعطيها تميّزاً آخر، ويجعلها نبات زينة تهفو إليه القلوب.
وفوق هذا الجمال، فإن عبّاد الشمس سلاح ضد أمراض العصر؛ كالكولسترول، وضغط الدم، ومرض السكر، والتهاب المفاصل، والسرطان، وتصلّب الشرايين، وغيرها. ويتّجه العلماء إلى استخراج الوقود منه، فهل يصبح عبّاد الشمس وقود المستقبل وثروة الفقراء المنتظرة؟!.



وادي حنيفة.. عاد مجدداً رئة للرياض

عبيد الأنصاري
الرياض - السعودية

ينحدر وادي حنيفة مخترقاً هضبة نجد باتجاه الجنوب بطول يزيد على ١٢٠ كيلومتراً؛ ليصرف مياهه المتدفقة على مدار الساعة وطوال العام إلى أكثر من أربعة آلاف كيلومتر مربع من المناطق المحيطة به، يتشعب منه نحو ٤٠ وادياً وشعباً، من أشهرها: الأبيطح، والعمارية، وصفار، والمهدية، ووبير، ونمار، والأوسط، ولحا، والأيسن، والبطحاء، حتى تختفي آخر قطرة من مياهه وسط رمال (السهباء) المحاذية لمحافظة الخرج.

هذا الوادي، الذي اشتهر باسم القبائل العربية التي استوطنت جواره منذ عصور ما قبل الإسلام، شهد نقلة نوعية هي الكبرى في تاريخه بعد خضوعه لعملية إعادة تأهيل وتطوير هي الكبرى من نوعها في منطقة الشرق الأوسط، أعادته ليس إلى ما كان عليه قبل التعرّض لعمليات التدهور البيئي منذ عقود، بل حوّلته إلى أكبر متنزّه مفتوح في المملكة، وأحد أبرز معالم المدينة ومزاراتها الطبيعية.

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز - رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض - في ضحى الاثنين ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٤٣١هـ افتتاح مشروع تطوير وادي حنيفة، الذي يمتد على مسافة تزيد على ٨٠ كيلومتراً، بعد إكمال الهيئة العليا أعمال تطويره، مفتتحاً سبعة مواقع من عناصر المشروع، ضمّت متنزهات مفتوحة، ومحطة المعالجة الحيوية للمياه.

ويمثّل مشروع التأهيل البيئي لوادي حنيفة - وفقاً للمهندس عبداللطيف بن عبدالملك آل الشيخ؛ عضو الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ورئيس مركز المشروعات والتخطيط بالهيئة - أحد ثمار الرعاية والدعم والمتابعة من قبل الأمير سلمان بن عبدالعزيز - رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض - والأمير سطام بن عبدالعزيز - نائب رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض؛ حفظهما الله - لكل جزء من أجزاء مدينة الرياض، وأحد صور عناية الهيئة الدائمة بالموارد البيئية وتطويرها؛ لضمان رفاهية العيش لأجيال الحاضر، مع المحافظة على حقوق الأجيال في المستقبل. وقد انطلقت الهيئة من تبنّيها هذا المشروع الأكبر من نوعه في المنطقة من منطلق الأهمية الكبيرة والقيمة الإستراتيجية لوادي حنيفة، الذي يمثّل رئة مدينة الرياض، ومصرف المياه الأكبر في نطاقها الحضري. وأشار آل الشيخ إلى أن الوادي عانى خلال حقب ماضية تدنّي المستوى الحضري له؛ إذ كانت تنتشر فيه أنشطة واستعمالات غير ملائمة لطبيعته.

اختلال في التوازن الطبيعي

تسبّب الازدهار الحضري الذي شهدته مدينة الرياض خلال العقود الماضية، وما واكبه من نمو عمراني واقتصادي متسارع لمدينة الرياض، وغياب التنظيمات المناسبة لحماية الوادي، في نشوء ظواهر سلبية أخذت في التراكم على وادي حنيفة، تركّزت



الأمير سلمان يفتتح المشروع ويستمع إلى شرح المهندس عبداللطيف بن عبدالملك آل الشيخ رئيس مركز المشروعات والتخطيط



المشروع يتضمن أطول ممرّ للمشاة بطول ٤٧كم، و٣٠ ألف شجرة صحراوية، و٧ آلاف نخلة، و٥٠ ألف شجيرة تحطّ رحالها في الوادي



الأمير سلمان لحظة افتتاحه المشروع



بشكل كبير في الأجزاء المحاذية لعمران المدينة، وتمثّلت في عدة مظاهر، أبرزها: اختلال مستويات المياه في الوادي، وتكوّن الحفر في جوانبه، وتوسّع الأحياء السكنية في شعابه دون اهتمام بمستويات الوادي ونظام جريان الماء فيه، فضلاً عن تراكم المخلفات والنفايات في أرجائه، وظهور عدد من الأنشطة الصناعية الملوّثة مياهه؛ كالمدابغ، والمسالخ، وهذا الأمر تسبّب في انتشار مخلفات المحروقات والمواد الهيدروكربونية في الوادي.

وأدى تراكم هذه المظاهر السلبية إلى اختلال النظام المائي للوادي، واستنزاف موارد المياه الأرضية من جهة، وتلوّثها من جهة أخرى، وتكوّن المستنقعات والبرك الآسنة والبحيرات العالية السُّمِّيَّة، وارتفاع مستوى المياه السطحية، في الوقت الذي شهدت فيه الحياة الفطرية في الوادي اندثاراً تدريجياً، وتناقصاً في البيئة الحيوانية، وانحسار الغطاء النباتي الطبيعي الملائم لبيئة الوادي، وتقلّص النشاط الزراعي.

التطوير عبر مبدأ الحماية

على ضوء ذلك، بادرت الهيئة إلى تبنّي مجموعة من الإجراءات والتنظيمات التي تهدف إلى إيقاف المصادر الرئيسة للتدهور في بيئة وادي حنيفة؛ لوقف عملية التدهور المتواصلة منذ عقود؛ تمهيداً للبدء بتأهيل الوادي، وإطلاق برامج التطوير المختلفة.

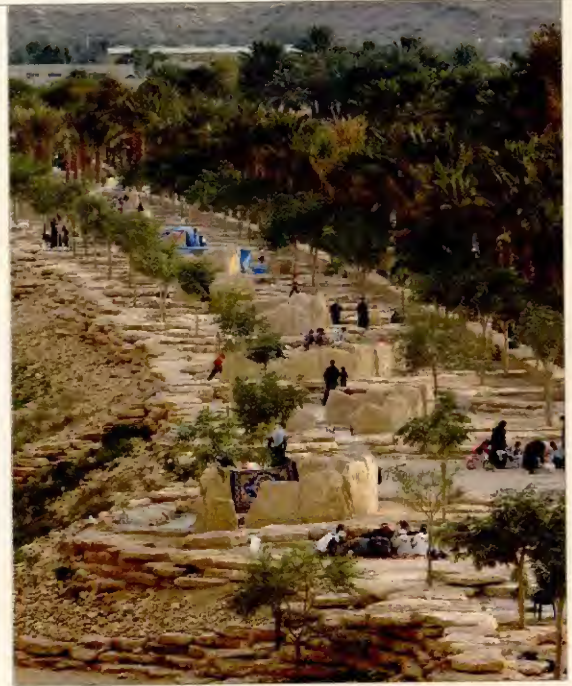
وبدأت الهيئة إجراءاتها لوقف التدهور في الوادي بإقرار مبدأ (الحماية البيئية) للوادي، وعدّ محيطه محمية بيئيةً ومنطقة تطوير خاصة تحت إشراف الهيئة، أتبعتها بإجراءات تنفيذية شملت: نقل الكسارات والمصانع إلى مواقع بديلة خارج الوادي، ووقف أنشطة

تركيب ٢٥٠٠ عمود إنارة و٦٠٠ وحدة إنارة للجسور في طرق الوادي ومتنزهاته، ومصليات، و٢٠٠٠ موقف للسيارات، و٣٠ مبنى لدورات المياه ومواقع للأكشاك

نقل التربة من الوادي، وتنظيم حملات تنظيف متكررة لأجزاء الوادي المتداخلة مع عمران المدينة، جرى خلالها إزالة المخلفات من مساحة ١٠ ملايين متر مربع، وإزالة نحو نصف مليون طن من النفايات ومخلّفات البناء.

خطة إستراتيجية شاملة

ولأن إعادة تكوين الوادي جغرافياً وطبيعياً وبيئياً تتطلب خطة إستراتيجية شاملة، توّجت الهيئة العليا عنايتها بالوادي بوضع (المخطط الشامل لتطوير وادي حنيفة)؛ ليكون الأساس الذي ستُبنى عليه بقية المشروعات التطويرية التنفيذية الحكومية والاستثمارية. وكان من عناصر هذا المخطط إطلاق مشروع التأهيل البيئي لوادي حنيفة، الذي سيمثّل الأساس الذي تُبنى عليه بقية المشروعات التطويرية التنفيذية الحكومية والاستثمارية التي تضمّنتها الخطة الإستراتيجية الشاملة الوادي.



في الوادي متّسع لمتعة أفراد الأسرة

تأهيل بيئي مستديم

يعمل المشروع على تحقيق محورين أساسيين، هما:

- إعادة وادي حنيفة إلى وضعة الطبيعي كمصرف لمياه الأمطار والسيول والمياه الدائمة الجريان الواردة إلى الوادي من عدة مصادر من المدينة، وجعل بيئته الطبيعية خاليةً من الملوثات والمعوقات التي تحول دون إطلاق آليات التعويض الطبيعية في الوادي، وازدهار بيئته النباتية والحيوانية، وإعادة تنسيق المرافق والخدمات القائمة حتى تتناسب مع بيئته.

- توظيف الوادي بعد تأهيله ليكون أحد المناطق المفتوحة المتاحة لسكان المدينة الملائمة للتنزّه الخلوي، من خلال إضافة الطرق الملائمة والممرات وبعض التجهيزات الضرورية.

ثلاثة مستويات للمياه

اشتمل المشروع على مجموعة من الأعمال، منها تسوية مجاري المياه وفق ثلاثة مستويات مختلفة من تصريف المياه الجارية: أولها مستوى المياه الدائمة الجريان، التي تتغذّى من شبكات تخفيض المياه الأرضية في المدينة، وشبكات تصريف السيول. وأُعدّ لهذا المستوى قناة مفتوحة للمياه





تآلف عناصر الطبيعة في الوادي

الدائمة الجريان مُدعمة بالتكوينات الصخرية و(الهدارات) للمساعدة على معالجة المياه، والحفاظ على قدرتها التصريفية طوال العام، بطول ٥٧ كيلومتراً، وبعرض متّسع نسبياً يصل في بعض الأجزاء إلى ستة أمتار، وبعمق يبلغ ١,٥ متر. والمستوى الثاني هو مستوى السيول الموسمية التي تجري في الوادي في مواسم الأمطار: فقد جرى تسوية بطن الوادي بميل دائم باتجاه الجنوب، وميل عرضي باتجاه القناة الدائمة. كما جرى تدعيم حوافّ الأودية في بعض النقاط الحرجة، وتدعيم الخدمات والمرافق القائمة في بطن الوادي؛ حتى تتحمّل غمر مياه السيول. والمستوى الثالث هو المستوى الذي يختصّ بالفيضانات التي تحدث في الدورات المناخية كل ٥٠ سنة تقريباً. ولأنها فيضانات نادرة الحدوث تمثّلت تجهيزاتها في وقف تعدّي الحيازات الخاصة على مجاري السيول، وإزالة الردميات الضخمة من بطن الوادي والشعاب المغذّية له.

نظام معالجة طبيعي للمياه

لكي يتمّ المزج بين متطلبات المشروع الوظيفية والمعايير البيئية الصارمة التي وضعها المخطط الشامل لتطوير الوادي، تبنّى مشروع التأهيل البيئي آلية جديدة لمعالجة المياه الجارية في الوادي، تستند إلى نظام معالجة طبيعي غير كيماوي، يعتمد على إيجاد البيئة المناسبة في المجرى المائي لوجود الأحياء الدقيقة التي تستمدّ غذاءها من المكونات العضوية وغير العضوية في المياه وتكاثرها. وجاء اختيار هذا النظام الطبيعي لمعالجة المياه نتيجة انخفاض تكلفته التشغيلية، فضلاً عن كونه وسيلة طبيعية تتواءم مع بيئة الوادي؛ فهو يعمل على تكوين دورة كاملة للسلسلة الغذائية الهرمية لمجموعة من الكائنات الحية التي يمكن أن تعيش في المياه؛ حتى يكون المصدران الأساسيان في العملية الحيوية هما ضوء الشمس والأوكسجين، اللذين يساعدان على نمو الأحياء الدقيقة والطحالب التي تتغذّى بدورها على الكائنات الحية المختلفة المنتشرة في المياه ابتداءً بالبكتيريا وانتهاءً بالأسماك والطيور. وسيمكّن المشروع من الاستفادة من المياه المصروفة إلى الوادي على مدار العام عن طريق معالجتها وإعادة استخدامها بشكل آمن في الأغراض الزراعية والصناعية والحضرية.

محطة للمعالجة الحيوية

وفي الإطار ذاته، تم اختيار بطن الوادي المحاذي لـ(ميدان الجزائر) في الجزء الجنوبي من مدينة الرياض لاحتضان (محطة المعالجة الحيوية للمياه)، التي تبلغ مساحتها أكثر من ١٠٠ ألف متر مربع، وتهدف إلى زيادة طول جريان المياه، ومن ثَمّ تزويدها بالهواء لزيادة نسبة الأوكسجين فيها؛ للإسهام في نمو الكائنات الحية التي تتخلّص من ملوّثات المياه.

وتمتاز المحطة بقدرتها العالية على المعالجة؛ بسبب

تحويل خطوط المرافق الهوائية إلى خطوط أرضية ضمن ممر خدمات، وطريق للسيارات بطول ٤٣كم في مسار جانبي من بطن الوادي

احتوائها على عدد كبير من الهدارات في مجموعات وأحواض متّصلة بقناة المياه الأساسية في المحطة، يبلغ عددها ١٤٠ خلية، كل خلية طولها ٣٠ متراً، وعرضها ستة أمتار، وعمقها متران. كما زُوِّدت جميع خلايا هدارات المحطة بأنظمة تهوية كهربائية للمياه في حوض الهدارة؛ لزيادة فاعلية المعالجة، ومن ثَمّ زيادة نسبة الأوكسجين الذائبة في الماء.

ممرّ للخدمات العامة

تضمّن المشروع إعادة تنسيق المرافق العامة في محيط الوادي؛ لتحسين وضعها بما يتلاءم مع وضع الوادي الجديد ومتطلباته البيئية الحساسة، عن طريق تحويل جميع خطوط المرافق الهوائية إلى خطوط أرضية بالتنسيق مع الجهات المسؤولة عنها، وكذلك تحديد منطقة ممتدة بطول الوادي تكون ممراً لخطوط المرافق المحلية المارة عبر بطن الوادي، وتغذّي الجهات المستفيدة بالخدمات عبر هذا الممرّ حسب مواصفات محددة. وحدّدت في هذا الممر مسارات للخدمات العامة (مياه شرب، وكهرباء، وهاتف) عبر خرائط تفصيلية.

طرق صديقة للبيئة

جرى خلال المشروع إنشاء طريق للسيارات بطول نحو ٤٣ كيلومتراً ابتداءً من سدّ العلب في الدرعية شمالاً إلى طريق المنصورية، وبعرض يراوح بين ستة أمتار وتسعة، وُضع في مسار جانبي من بطن الوادي؛ حتى يكون محاذياً لممرّ الخدمات، ولا يسير في المنتصف، كإجراء احترازي لحماية الطريق من السيول. كما جرى إنشاء ٢٢ جسراً ومعبراً عند تقاطع الطريق مع القناة، وتزويد الطريق بمختلف العلامات المرورية التحذيرية والإرشادية والتوجيهية، التي بلغ عددها أكثر من ٧٣٠ لوحة تسهم في تعريف المرتادين ما يحتويه الوادي من معالم بيئية وطبيعية وخدمات، وما يكتنزه من مواقع بيئية وتراثية. كما جرى تنفيذ عبّارات على الطريق للوصول إلى الأودية الفرعية وبعض مداخل المزارع التي تقع فوق قناة المياه الدائمة الجريان، وهو ما أدّى إلى تحسين نقاط الاتصال بين مدينة الرياض والوادي.

كما اشتملت أعمال تحسين شبكات الطرق وتطويرها في

وادي حنيفة

وادٍ في منطقة العارض في نجد، سكنت على ضفافه منذ القدم قبائل عملت بالزراعة والتجارة وبعض الحرف اليدوية الأخرى في مدن وقرى ذات أسوار. يمتد الوادي مسافة ١٢٠كم من الشمال إلى الجنوب، مائلاً قليلاً إلى الشرق. وتقع عليه قرى سدوس، والعيينة، والجبيلة، وعرقة، وأبا الكباش، والدرعية، والحائر، والعمارية، ومنفوحة، والجزعة، والمصانع القديمة، كما يخترق مدينة الرياض من الناحية الغربية.

للوادي مجموعة من الروافد؛ مثل: وادي الوتر (البطحاء حالياً)، ووادي الأيسن، وسد وادي صفار، وشعيب (المشاعبة) أبو رفيع، وشعيب لحا، ووادي السلي، ووادي لبن، وهو يصبّ في وادي السهباء في الخرج.

كان الوادي يسمى قديماً بالعِرض (بكسر العين) كما يرد في معجم ياقوت الحموي ومصنف الهمداني، ثم غلب عليه اسم وادي حنيفة؛ نسبةً إلى قبيلة بني حنيفة التي سكنت المنطقة منذ القدم.

يعدّ وادي حنيفة إلى جانب وادي الخرج من أقدم المناطق المعمورة في نجد لخصوبة أراضيه.





الطبيعة الخلابة في الوادي تجتذب سكان الرياض

المشروع على أعمال الإنارة في محاذات طريق السيارات وممرات المشاة، عبر تركيب ٢٥٠٠ عمود إنارة، إضافةً إلى ٦٠٠ وحدة إنارة للجسور ومناطق متفرقة من الوادي، وتنفيذ مصليات في الأمكنة التي لا تتوافر فيها مساجد، وتنفيذ ٣٠ مبنى لدورات المياه للرجال والنساء موزّعةً على طول الوادي، فضلاً عن إنشاء مواقف جانبية للسيارات تسع أكثر من ٢٠٠٠ سيارة، وتجهيز مواقع للأكشاك وحاويات المخلفات.

ممرات معبّدة بالصخور

أما ممرات المشاة، فتمتد بطول ٤٧ كيلومتراً في أبرز المناطق الجمالية المتوافرة على طول الوادي، إضافةً إلى ممرات مرصوفة بطول ٧,٤ كيلومترات، جرى اختيار مواقعها في محيط التكوينات الصخرية البديعة والمناطق المشجّرة، وبالقرب من مجاري المياه، مع مراعاة سهولة الوصول إلى هذه الممرات عبر مواقف السيارات المنتشرة حول الضفتين. وتتكون ممرات المشاة من مسارات ترابية مرصوفة بشكل يسمح بالحركة الراجلة، وعربات الأطفال والمعاقين، وهي محمية بأكتاف من التكوينات الصخرية تعمل محدّدات للممرات، ومزوّدة بأمكنة للجلوس، ومواقع مهيأة استراحات للتنزّه.

النبات يكسو الوادي مجدّداً

وصولاً إلى إيجاد بيئة نباتية تلائم بيئة الوادي، انطلقت عملية إعادة الغطاء النباتي في مشروع تأهيل وادي حنيفة على عدد من الأسس، من أبرزها: إعادة غرس النباتات التي كانت من مكونات الوادي في السابق، واعتماد مستوى تشجير مكثّف يمكن الحفاظ عليه بقدرات الوادي الطبيعية الذاتية من مياه سطحية وجوفية. وتمّ في هذا المجال غرس ٣٠ ألف شجرة صحراوية في بطن الوادي، وغرس نحو ٧٠٠٠ نخلة، ونقل ٢٠٠٠ شجرة صحراوية إلى الوادي؛ كأشجار الطلح، والسمر، والأثل، وغرس ٥٠ ألف شجيرة عن طريق الاستزراع من البذور والشتلات الجاهزة.

خمسة متنزهات مفتوحة

تضمّن مشروع التأهيل البيئي، إضافةً إلى تأهيل بطن الوادي، إنشاء خمسة متنزّهات مفتوحة: أولها متنزه سد العلب الذي يحتوي على ممرات للمشاة بطول ٥,٥ كيلومترات، وجلسات للمتنزهين تشمل ٩٣ جلسة، ومواقف للسيارات على جوانب الطريق تسع ٢٠٠ سيارة، ورصيفاً للمشاة بطول كيلومترين مزوّداً بالإنارة والتشجير. وثانيها متنزه سد وادي حنيفة، الذي زوّد بـ٢٧ جلسة للمتنزهين،



وممرّ للمشاة بطول ٥,٦ كيلومترات. وثالث المتنزهات هو متنزه السد الحجري، الذي تبلغ مساحة بحيرته نحو ١٠ آلاف متر مربع، بعمق يصل إلى مترين. وتم رصف محيط السد بممرات للمشاة بطول ٤,٥ كيلومترات، وتنفيذ جلسات للمتنزهين حول البحيرة. والمتنزه الرابع هو متنزه بحيرة المصانع، الذي زوِّد بممرات للمشاة بطول ٤ كيلومترات، ويبلغ عدد جلسات المتنزهين ٢٢ جلسة. وتبلغ مساحة البحيرة ٤٠ ألف متر مربع، بعمق يصل إلى ١٠ أمتار. وآخر المتنزهات هو متنزه بحيرة الجزعة، الذي يبلغ طول ممرات المشاة المقامة فيه ٥,٥ كيلومترات، وزُوِّد بعدد ٣٧ جلسة للمتنزهين، وبلغت مساحة البحيرة ٣٥ ألف متر مربع، بعمق يصل إلى ثلاثة أمتار.

حماية المواقع التاريخية

سنّت الهيئة ضوابط عمرانية لتطوير المواقع التاريخية في الوادي، من شأنها حفظ خصائصه العمرانية، وتطويرها ثقافياً وبيئياً واجتماعياً، وربطها بالأحياء المحيطة بالوادي، وحماية المناطق التاريخية من امتداد الممتلكات الخاصة عليها، وتوظيف خصوصياتها التاريخية والعمرانية، فضلاً عن أعمال الصيانة المباشرة لأعمال التشجير والتنسيق، وتحديد أهداف الرعاية للوادي، والمشاركة الطوعية من الأفراد والمؤسسات.

> إعادة تنسيق المرافق والخدمات القائمة بما يتناسب مع بيئة الوادي الطبيعية، وتسوية مجاري المياه وفق ثلاثة مستويات لتصريف المياه الجارية

مواصفات أسوار الملكيات

وُضعت في هذا الإطار تصاميم ومواصفات لأسوار المزارع القائمة، خصوصاً الأجزاء الظاهرة لمرتادي الوادي، أو المشرفة على بطن الوادي؛ لتحقيق التجانس المطلوب بين عناصر الوادي الطبيعية؛ إذ وُضعت هذه المواصفات وفق شروط عامة ومواصفات فنية، منها: تلبيس السور حسب الحدود الموضحة في صكّ الملكية، ومراعاة التقليل من فروق الارتفاعات بين أسوار المزارع المتجاورة، وتلبيس جميع الأسوار المطلة على الوادي مباشرةً والأسوار الداخلية بحجر الرياض، واستخدام موادّ متجانسة مع لون الحجر ضمن مقاسات معيّنة، ووضع فتحات في أسفل الأسوار عند مواقع جريان السيول، وتلافي جعل زوايا الأسوار حادةً، واعتماد شكل البناء التقليدي. وتطمح الهيئة من خلال هذه الإجراءات إلى المحافظة على العمارة التقليدية في الوادي؛ لأنها عمارة تراثية عريقة، مع تأكيد الأدوار التي يتولاها الملاك والمواطنون في المحافظة على هذا التراث العمراني.

ضوابط بيئية

وعلى الصعيد ذاته، وضعت الهيئة ضوابط بيئية توفّر الأسس اللازمة للتجدّد البيئي، وصحة البيئة، ونوعية الحياة في وادي حنيفة؛ لمراقبة تأثير التطوير وتلوّث الماء والهواء والتربة في البيئة وتقويمه، إضافةً إلى زيادة الوعي والثقافة البيئية لدى السكان.

قاعدة معلومات جغرافية

وتيسيراً للوصول إلى المعلومات والبيانات ومخرجات الدراسات البيئية المختلفة، التي تشكّلت لدى الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض عن وادي حنيفة خاصةً، والمدينة عامةً، أنشأت الهيئة (قاعدة

المعلومات الجغرافية لوادي حنيفة والمعلومات البيئية)؛ لتسهم في دعم اتخاذ القرار البيئي، وأعمال المتابعة والرصد للمتغيرات والتعديات في الوادي، عبر استخدام تقنيات نظم المعلومات الجغرافية GIS وأحدث برامج تشغيل قواعد المعلومات وتصفّحها.

جوائز عالمية يحصدها المشروع

حصد مشروع التأهيل البيئي لوادي حنيفة عدداً من الجوائز العالمية كغيره من برامج التطوير التي تبنّتها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض؛ فقد نال المخطط الشامل لتطوير وادي حنيفة اهتمام كثير من الخبراء والمختصين في مختلف دول العالم وإعجابهم؛ مما أهّله للحصول على جائزة مركز المياه بواشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية كأفضل خطة لتطوير مصادر المياه على مستوى العالم عام ٢٠٠٣م، من بين ٧٥ مشروعاً قُدِّمت من ٢١ دولة. وتم عرض هذا المخطط في المؤتمر السنوي لمركز المياه الذي عُقد في مونتريال بكندا حينها. ورأت لجنة التحكيم المكونة من عدد من الخبراء يمثّلون مختلف دول العالم أن «هذا المشروع يمثّل بادرة رائدة في المخططات الشاملة»، كما وُصف المخطط بأنه «مشروع عالمي يضع معايير عالمية جديدة»، وأُثني في المؤتمر على الرؤية المستقبلية والدقة المتناهية التي اتّسم بها المشروع.

كما فاز مشروع التأهيل البيئي لوادي حنيفة بالمركز الثاني والجائزة الذهبية في جانب المشروعات البيئية في جائزة مؤسسة الجائزة العالمية للمجتمعات الحيوية في لندن ببريطانيا عام ٢٠٠٧م. ومن بين أكثر من ٢٦٠ مدينة من جميع أنحاء العالم في حقل المدن، ترشّح منها للمنافسة النهائية على الجائزة ٣٩ مدينة، كما رشّح للجائزة ١٦٠ مشروعاً في حقل المشروعات بشقيها البيئي والإنشائي، ترشّح منها للمنافسة النهائية على الفوز بالجائزة ٢٩ مشروعاً.

مشروع التأهيل البيئي لوادي حنيفة استحقّ جوائز عالمية



لوحة تبحث عن رسّام

نور الدين صمّود

قليبية - تونس

أيّــهــا المشــهــد الــبــديــع تمــهّــل
قـبـل أن يـرحـل الـربـيـع وتـرحـلْ

***

قــفْ تـريّـث ودعْ عـيـوني تـرعـى
كـفـراشٍ عـلـى زهـور الـقـرنـفـل
واضـحـكـي يـا ورود في كـل روضٍ
إن أتـى في الـربـيـع يـصـدح بلبل
ويـغـنّـي الأزهـار لحـنـاً بـديـعـاً
قـبـل أن يـأتـي الخـريـف فتذبل
أيّــهــا المشــهــد الــبــديــع تمــهّــل
قـبـل أن يـرحـل الـربـيـع وتـرحـل

***

يـا زهـور الـربـا قـفـي ولـتـكـوني
دائـمـاً مـشـهـد الـربـيـع المجسّم
ولـتـلـوحـي كـلـوحـة ذات حـسـن
عـن مـعـاني الـربـيـع دومـاً تـترجم
ضـاحـكـات عـلـى المـدى لا تـراهـا
بـاكـيـات إذا الـشـتـاء تجـهّـم
فـربـيـع الحـيـاة في كـل شـبـر
زهـره دائـم الـشـذا يـتـبـسّـم

***

أيّــهــا المشــهــد الــبــديــع تمــهّــل
قـبـل أن يـرحـل الـربـيـع وتـرحـل
أيّـهـا المشـهـد الـضـحـوك تـأنَّـا[1]
أنـت لـلـقـلـب كـلُّ مـا يـتـمـنـى
فـيـك يـبـدو الـوجـود غـضـاً طـريـا
وجـمـال الحـيـاة يـزداد حـسـنـا
ولـديـك الـقـلـوب تـغـدو طـيـوراً
حـائـمـات في جـوّهـا تـتـغـنّـى
طـار قـلـبـي إلـيـك مـثـل فـراش
وإلى زهـرك المـعـطّـر حـنّـا
أيّــهــا المشــهــد الــبــديــع تمــهّــل
قـبـل أن يـرحـل الـربـيـع وتـرحـل

الهوامش

١- تأنَّ: تمهّل ولا تسرع، وهو فعل أمر مجزوم بحذف حرف العلة، ولم يكتب (تأنّى) بالألف المقصورة؛ لأن فعل الأمر يقتضي حذف حرف العلة؛ لذلك كتب بألف الإطلاق (تأنَّا) التي يقتضيها الوزن.





أطفالنا

والقيم الوافدة

قضايا

كثر الحديث عن الطفولة في السنوات الأخيرة، وذلك يعود إلى الوعي بأهمية هذه الحقبة من حياة الإنسان، ودورها في توجيه سلوكه في مقبل أيامه.

نورة صالح الشملان

الرياض - السعودية

لن أتطرق في هذا المقال إلى الطفولة وأهميتها: فقد أصبح الحديث عنها من نافلة القول، وأسهم في هذا الحديث علماء النفس والتربية والاجتماع والمجتهدون من الكتّاب. سأحاول أن أقف عند مؤثّرين مهمين في حياة أطفالنا، هما: التلفاز، والخدم.

التلفاز

أصبح التلفاز ممارسة يومية، ووسيلة الأم للتخلص من عبث الطفل، وصراخه، وطلباته، وحقه في الجلوس وتبادل الحديث واللعب، الذي قد يعرضه للخطر في نظر الأم، فتجد أن أسلم طريقة لتجنيبه ذلك، وإراحتها من مسؤولياتها، وضع الطفل أمام الصور المتحركة أو غيرها من البرامج، وقد نجد مكتبة الأسرة تحتوي على أشرطة الأطفال أكثر من احتوائها على كتب التراث.

إن الناس - إلا أقلّهم - يتعاملون مع برامج الأطفال التلفازية على أنها أداة ترفيه تجعل الطفل مستمتعاً، هادئاً، بعيداً من الشارع والعبث بأدوات المنزل، أو مشاكسة الأخ الأصغر، أو منع الأم من الخروج والتعلق بأذيال ثوبها. كما أن مشاهدة التلفاز تجعل الطفل يقبل على طعامه؛ ففي المشاهدة يحلو الأكل. وإذا كان الطفل يقبل على مشاهدة هذا الجهاز باختياره ورغبته فإنه يتشرّب بما يرى، وتترسخ القيم التي يبثها التلفاز في داخله أكثر مما تترسخ القيم التي يأمره بها الوالد أو الوالدة.

فمما لا شك فيه أن الفرد إذا تلقى الشيء باحثاً عنه أفضل مما لو تلقاه وهو مأمور به؛ فالرغبة الموجودة عند الطفل في مشاهدة التلفاز تجعله يقلّد ما يرى.

ويتعلم الطفل من التلفاز دقة الوقت، والمحافظة على الموعد؛ لأن برامجه محددة الوقت. مع التحفظ من أن ذلك ينطبق على المحطة الأرضية، وليس المحطات الفضائية التي لا تتقيّد بوقت. كما أن التلفاز قد يسهم في التوعية الصحية، والتقيد بالنظافة العامة، ويرشد إلى طريق الوقاية من الأمراض، ويعلّم الطفل بعض العادات الحميدة: مثل: زيارة المرضى، والاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة ومساعدتهم. والتلفاز قادر على تحويل المجردات إلى محسوسات، وهذا ييسّر الفهم والاستيعاب، خصوصاً بالنسبة إلى الأطفال الذين لا يمتلكون القدرة الكاملة على فهم المعاني المجردة. كما أنه يثير خيال الطفل، وينمي لديه الملكات العقلية والفكرية، ويشبع لديه حب الاستطلاع؛ كلّ ذلك يجعله وسيلة تثقيفية ناجحة.

وفي مقابل هذه الحسنات للتلفاز وبرامجه، تظهر سلبيات، منها: أنه يقلّل من نشاط الطفل البدني، ويحرمه من اللعب والرياضة، وقد يؤدي ذلك إلى إصابته بالسمنة التي نجدها منتشرة بصورة لافتة عند أطفالنا، فينشأ الطفل ميّالاً إلى العزلة، مبتعداً من بيئته وقيمها، متعلقاً بقيم وافدة لا تتناسب مع مجتمعه،

يتعلم الطفل من التلفاز دقة الوقت، والمحافظة على الموعد؛ لأن برامجه محددة الوقت. كما أن التلفاز قد يسهم في التوعية الصحية، والتقيّد بالنظافة العامة



خادمة اليوم التي تُسمَّى تجاوزاً مربية، والتي جُلبت من مكان بعيد، هدفها الرزق الحلال، تركت أسرتها وأطفالها وأتت لتقوم بدور الأم في أسرة لا تربطها بها إلا ما تقدمه لها من راتب زهيد



هناك فارق!

- يتطلب نمو الأطفال فرصاً لتحقيق علاقات أسرية أساسية حتى يمكنهم فهم أنفسهم.
- يحتاج الأطفال الصغار إلى تنمية طاقتهم على التوجيه الذاتي؛ حتى يحرّروا أنفسهم من التبعية، لكن التلفاز يساعد على استمرار هذه التبعية دوماً.
- يحتاج الأطفال إلى اكتساب مهارات الاتصال الأساسية؛ كتعلّم القراءة والكتابة، والتعبير عن الذات بمرونة ووضوح؛ حتى يؤدوا وظائفهم، غير أن التلفاز لا يعزّز النمو اللفظي؛ لأنها لا تتطلب أيّ مشاركة لفظية من الطفل، بل تتطلب الاستقبال السلبي وحده.
- يحتاج الأطفال إلى اكتشاف نواحي القوة والضعف الخاصة من أجل تحقيق رغباتهم بوصفهم راشدين في العمل واللعب على حدّ سواء، لكن التلفاز يحدّ من اندماج الطفل في تلك الأنشطة الواقعية التي قد تتيح لقدراتهم فرصة حقيقية للاختبار.
- إشباع حاجة الطفل إلى الخيال يتحقق بصورة أفضل عن طريق ضروب النشاط الإيهامي الذاتي، وليس عن طريق القصص الخيالية التي يعدّها الكبار، ويقدمونها لهم في التلفاز.
- حاجة الأطفال إلى التنبيه العقلي تتحقق بصورة أفضل حين يمكنهم تعلّم الأداء اليدوي واللمس والفعل، وليس بمجرد المشاهدة السلبية.

خطر المربيات غير المسلمات على الطفل المسلم، د. خالد أحمد الشنتوت، دار المجتمع بجدة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

وأحياناً تتصادم مع معتقداته الدينية والأخلاقية؛ فمثله الأعلى هو تلك الشخصيات الخرافية؛ مثل: سوبرمان، وباتمان، وميكي ماوس، وغيرها، ومضامين قصصها لا ترمي إلى معايير تربوية، بل ربما تؤصل لأخلاقيات بعيدة من الدين والخلق القويم؛ مثل: الكذب، والسرقة، واستغفال الناس وخداعهم.

والتلفاز يصرف الطفل عن القراءة. وغنيّ عن البيان أن القراءة هي عادة إن تأصّلت مع الإنسان أصبحت جزءاً مهماً من حياته؛ فالتلفاز لا يتيح للطفل هذه الفرصة؛ لأنه يقدم له المعلومة الجاهزة والقصة المصورة الناطقة.

ويؤثر التلفاز في البصر والسمع، ويخلق ميلاً إلى السلبية والعزلة، ويواجه الطفل المدمن مشاهدة التلفاز صراعاً حاداً بين ما يتلقاه من قيم أسرية وما يشاهده من قيم مضادة، وغالباً يكون تشبّثه بالقيم المضادة أكثر بسبب إدمانه مشاهدتها.

وقد أشارت إحدى لجان الكونجرس الأمريكية إلى أن نسبة كبيرة من جرائم الأحداث في أمريكا تعود إلى تقليد ما يرونه على شاشات التلفاز من تمثيليات يقوم أبطالها بالقتل أو مهاجمة الأبرياء.

ويقلّل التلفاز من فرص الحوار والمناقشة بين الطفل ووالديه، ومن هنا فقد اختفت مجالس السمر الليلي والجلسات العائلية



براءة الطفولة تحتاج إلى من يرعاها

المشتركة التي تساعد على تشبّع الطفل بقيم الآباء، وتقوي الصلة العاطفية بين الطفل وأبويه. لقد كان على الأم في السابق عندما تدعو طفلها إلى النوم أن تقصّ عليه حكاية، وبغض النظر عما تحمله هذه الحكاية من معنى فإنها تقوّي صلة الأم بطفلها، بدلاً من أن ينام وهو يتابع الشاشة. ولا بد أن نشير إلى ما يحمله التلفاز من البرامج الإباحية التي أصبحت سمة بارزة من سمات المحطات الفضائية التي قد يعجز الأهل عن السيطرة عليها. أما البرامج الجادة التي يعرضها التلفاز، فقد لا تكون كلها مفيدة؛ فمثلاً: بعض البرامج التي تتناول الشخصيات التاريخية قد تروي التاريخ من وجهة نظر غير محايدة، ولعل تصوير القضية الفلسطينية في وسائل الإعلام الغربية يعدّ نموذجاً لذلك؛ فالفلسطيني يمثّل أحد أفراد عصابة متوحشة تحاول القضاء على الإسرائيلي المسالم، وتطرده من أرضه، والحقيقة عكس ذلك تماماً. وعند مشاهدة برامج التلفاز، وما يتخلّلها من دعايات يكون بثّها أحياناً أطول من البرنامج نفسه، نجد أن هذه الدعايات تشجع على الاستهلاك؛ لأنها تروّج لبضائع متنوعة، وتغري الأطفال باقتنائها؛ مثل: الحلويات، والألعاب، والملابس، وغيرها. وليس غريباً أن نجد في غرفة الطفل أنواعاً مختلفة من الألعاب يغني واحد منها عن الجميع. وقد تخفق الأسرة في إقناع الطفل بأن تلك السلعة التي يطالب بها لا تختلف عما لديه؛ لأن التلفاز ودعاياته المغرية يكون في الأغلب أقوى تأثيراً في الطفل، وبخاصة الأسرة الميسورة التي لا تدرك تأثير هذا الاستهلاك في الطفل في مقبل الأيام، ولا يؤثر ذلك في ميزانيتها.

بعد هذا العرض لحسنات التلفاز وسيئاته يظهر لنا أنه سلاح ذو حدّين، وأننا يمكن أن نحوّله إلى وسيلة تثقيف وبناء لشخصية الطفل بما لا يتعارض مع دور الأهل في التربية. وليس بمقدور الأسرة وحدها أن تفعل ذلك، ومن هنا فإن المسؤولية مشتركة بين الأسرة التي تكون مهمتها مراقبة الطفل، وتقنين جلوسه أمام التلفاز بوضع البديل، وهو حضن الوالدين. أما القائمون على الإعلام، فلا بد أن يلتفتوا إلى نوع البرامج التي تقدم للطفل، وذلك بدراستها دراسة علمية على أيدي متخصصين في التربية، بحيث تكون هذه البرامج ملبية لحاجة الطفل، ولا تتصادم مع معتقداته وعادات مجتمعه، وذلك بتنقية المستورد منها مما لا يتناسب مع حاجة الطفل.

الخدم

ليست ظاهرة الخدم الذين يقومون بأعمال المنزل وتربية الأطفال جديدة على المجتمع السعودي؛ فمنذ القدم كانت الأسر



يحمل التلفاز برامج إباحية أصبحت سمةً بارزةً من سمات المحطات الفضائية التي قد يعجز الأهل عن السيطرة عليها. أما البرامج الجادة التي يعرضها التلفاز فقد لا تكون كلها مفيدة



بابا في.. بابا نوم

شاعت في منطقة الخليج العربي تراكيب في اللغة العربية الدارجة غريبة عن روح اللغة العربية، وشاعت إلى درجة إقبال الراشدين على استعمالها. ومن هذه التراكيب:

- (بابا في؟): ويقصد منه (هل يوجد أبوك؟). والملاحظ أن المربية الأجنبية تنادي رب الأسرة بلفظ (بابا)، كما تنادي ربة الأسرة بلفظ (ماما). وهكذا شاع هذا التركيب بسرعة، واستخدم على نطاق واسع، وأصله أن يسأل أحدهم هذه المربية عن رب الأسرة، والأصل أن يقول لها: (هل يوجد رب الأسرة؟). وبما أنها لا تفهم هذه الجملة الطويلة؛ لذلك تم اختزالها إلى تركيب (بابا في؟). ويكون الجواب بالإيجاب (في بابا)، أو بالنفي (بابا ما في). وقِسْ على ذلك إذا انتقل هذا التركيب إلى استخدامه في السؤال عن المدير بقولهم (المدير في؟). أو (الأستاذ عمرو في؟)، ثم يكلّم العربيُّ العربيَّ الآخر فيقول له: (أخوك في؟). وغير ذلك. وعندما يتّصل أحدهم بالهاتف يسأل عن رب الأسرة وهو نائم، فالخادمة هي التي ستردّ وتقول: (بابا نوم). وإذا كان الهاتف يسأل عن ربة الأسرة تقول الخادمة: (ماما نوم). ولو فرضنا أن رب الأسرة مسافر إلى جدة سوف تقول الخادمة: (بابا جدة)، أو (ماما مدرسة)، أو (ماما مستوصف). وقِسْ على ذلك من التراكيب التي يسمعها الأطفال، ويلتقطونها من مربيتهم، فتتطبّع لغتهم بهذه التراكيب الركيكة، خصوصاً أن اللغة وعاء الفكر، وأن هذه التراكيب المعوجة لا يمكن أن تحتوي فكراً سليماً واضحاً.

الميسورة تستعين بالرقيق الذي يُجلب من خارج البلاد، ولكن هناك فرق كبير بين هؤلاء وبين الخدم في الوقت الحاضر؛ فالرقيق الذي كان يُجلب في الماضي أصبح جزءاً من نسيج الأسرة، ويتعامل الجميع مع المربية تعامل بعضهم مع بعض، بل إن الأطفال عادةً ينادون المربية بكلمة (يمة)، وهي الكلمة نفسها التي ينادون بها أمهاتهم.

ومن جهة أخرى، فإن مربية الأمس قطعت كل صلة تصلها بأسرتها أو بلدها، وأصبحت تدين بالحب والولاء للأسرة التي تعمل عندها. وهذا الحديث ليس افتراضياً، وإنما هو تأكيد لواقع عشناه جميعاً، فعلى سبيل المثال: قبل مدة أقامت إحدى الأميرات احتفالاً لمربيتها المسنة، التي أتت على كرسي متحرك تدفعه ابنة هذه الأميرة.

ولا نبالغ إذا قلنا: إن كثيراً من مربيات الأمس يكنّون بأسماء الأولاد الذين قمن بتربيتهم؛ فهذه أم نايف، وتلك أم فيصل، وغير ذلك.

لم يكن هناك ثنائية في التربية والقيم، لا أقول ذلك بكاءً على الماضي السعيد، ولا شوقاً إلى عودة الرقيق، ولكنني أشخص حالة ماضية وحالة حاضرة. فخادمة اليوم التي تُسمَّى تجاوزاً مربية، والتي جُلبت من مكان بعيد، هدفها الرزق الحلال، تركت أسرتها وأطفالها وأتت لتقوم بدور الأم في أسرة لا تربطها بها إلا ما تقدمه لها من راتب زهيد. تلك الأم التي حرمها الفقر من تربية أطفالها

تجد نفسها مسؤولة عن أطفال لا يمتّون إليها بصلة، بل ربما تصيبها الغيرة أو الحقد عندما تقارن وضعها بوضع سيدتها. أم تركت أطفالها وبلدها وقطعت المسافات الطويلة من أجل العيش، وأم تنازلت عن دورها، وجعلت هذه المرأة هي المسؤولة عن أطفالها.

كم من الحوادث نسمعها يومياً عن عبث الخادمات بالأطفال؛ فتلك تذيب أقراصاً منومة للطفل، وثانية تزيد من جرعات أدوية السعال للطفل المريض كي ينام، وثالثة تضرب الطفل في غياب أمه، وتهدده إن هو أخبرها بذلك. وتهون هذه الأمور أمام السلوكيات التي يكتسبها الطفل من معاشرة تلك المرأة.

ولنا أن نتساءل: لماذا حلّت المربية مكان الأم؟

تدلّ الدراسات على أن ظاهرة استخدام المربيات بدأت منذ ثمانينيات القرن الميلادي الماضي، وأخذت في الانتشار حتى أصبح الخدم جزءاً من الأسرة. وقد أسهمت في ذلك عوامل متعددة، منها: الطفرة الاقتصادية، وسعة المنازل، والتقليد. وإذا كانت معرفة آثار العاملة الأجنبية في الأطفال قاصرة؛ لعدم توافر الإحصاءات والدراسات الجادة، فإننا سنجتهد في عرض بعض السلبيات التي لمسناها من الواقع اليومي لأطفالنا وأطفال من يحيطون بنا من الأهل والأصدقاء.

إن معظم من يقمن بتربية الأطفال لسن من المتخصصات، وليست لديهن دراية كافية بالتربية، وقد يكنّ غير متزوجات؛ فهن لم يمارسن الأمومة، وليست لديهن دراية بالتربية، وقد يخطئن في حقوق الطفل عن جهل لا عن عمد. وقد يكنّ متزوجات لا يجمعهن مع الأطفال إلا الراتب الشهري، وذلك سينعكس سلباً على حالتهن النفسية، وعلى سلوكهن ومستوى أدائهن، والنفس الإنسانية ضعيفة: فلا شك أن هذه المربية توازن بين نفسها وسيدتها، هي تركت وطنها وأطفالها وزوجها وأتت لتربي أطفال أم تنعم بالراحة والنوم والخروج والمال الكثير، وهي تربّي أطفالاً ستفارقهم بعد حين وتكون الثمرة الناضجة للأم التي لم تبذل في تربيتهم إلا دراهم معدودة، فهل ترى هذه المربية بالمركب الإنساني تستطيع أن تحلّ محلّ الأم؟! وقديماً قيل: (ليست النائحة كالثكلى).

قد تعمد المربية: رغبةً في كسب الطفل، إلى التدليل والإفساد، ويزداد الأمر سوءاً حين يكون الوالدان على شيء من الضبط والوعي بسلبيات التدليل، حينئذٍ ترجح كفة المربية، وتصبح الملجأ للطفل من جور الوالدين.

من الأمور المشاهدة في المجتمع السعودي ما أصاب لغة الطفل من عجمة مردّها المربية الأجنبية التي لا تتقن إلا لغتها، وقد تعرف شيئاً من اللغة الإنجليزية، فتحاول أن تتفاهم مع الطفل بلغة إنجليزية ركيكة، أو تمزج بين اللغتين مولّدةً لغة مضحكة. فعلى سبيل المثال لا الحصر: عندما تسأل الطفل عن والده النائم يقول: (بابا نوم)، وهو بذلك يقلّد جوا[illegible]ن المربية عندما وجّه لها ذلك السؤال.

توصّلت إحدى الدراسات إلى أن ٤٢٪ من الخادمات لا يفعلن شيئاً إزاء امتناع الطفل عن الطعام، وأن ٤٢٪ منهن يقمن بتحذيره عند التبول اللاإرادي

ومعرفة الطفل بلغة المربية الركيكة تسبق معرفته بلغة أبويه.

واعتماد الأم على المربية يوجد فجوةً بينها وبين أطفالها؛ فهم يصبحون أكثر ارتباطاً بالمربية؛ فهي معهم في وجود الأم وفي غيابها، ولا شك أن ذلك يحرم الطفل من التفاعل الأسري الذي يحققه وجود الوالدين. إن وجود المربية يخلق الاتكالية والاعتماد على غيره عند الأم والطفل في آنٍ واحد. وإذا كان الشيء بالشيء يُذكر فإنني أودّ أن أشير إلى تجربة اليابان؛ ذلك البلد الذي قام من كبوته بعد الحرب العالمية الثانية ليناطح الغرب ويتفوق عليه. زرت اليابان قبل عدة سنوات، وأتيحت لي الفرصة لزيارة ثلاث أسر ومدرسة، وكانت الأسر من مستويات مختلفة: الأولى أسرة فقيرة، والثانية متوسطة الدخل، والثالثة تتمتع بالغنى الفاحش. فوجدت أن الأسر الثلاث تشترك في الاعتماد على النفس في تربية الأطفال، فلم أجد خدماً ولا مربيات، فالأم لا تسمح إلا للجدة أو الأخت الكبرى بمشاركتها في العناية بالأطفال. وعندما زرتُ المدرسة لم أصادف عاملاً، وعلمت أن الطلبة والأساتذة هم من يقومون بتنظيف المدرسة.

وقبل الختام أودّ أن أشير إلى دراسة جادة قام بها بدر البراك – مدير مركز الرعاية للاستشارات التربوية في الكويت – حول دور الخدم في المنزل، وما يقدمونه من قيم ومعتقدات تؤثر في الأطفال. وبيّنت الدراسة أن ٩٢٪ من الأسر التي شملها الاستبيان داخل الكويت تستعين بالخدم، و١٠٠٪ من المسوحات أكدت أن المربية لها ثقافة معينة ومشكلات اجتماعية وقيم ومعايير وتقاليد مختلفة عن المجتمع الكويتي، وأن الأطفال يتأثرون بكل ذلك. وذكرت الدراسة أن ٧٦٪ من الخادمات ذكرن أن عملهن هو الإشراف على تربية الأطفال، وذكر ٣٢٪ من الخادمات أن الأطفال ينامون معهن دائماً، و٤٨٪ أن الأطفال ينامون معهن أحياناً، و١٩٪ أن الأطفال ينامون معهن نادراً.

وفيما يتعلق بسلوك الطفل، وردّ فعل الخادمة، توصّلت الدراسة إلى أن ٤٢٪ من الخادمات لا يفعلن شيئاً إزاء امتناع الطفل عن الطعام، وأن ٤٢٪ منهن يقمن بتحذيره عند التبول اللاإرادي. وفيما يتعلق بسلوك الأطفال، ذكرت الدراسة أن ٤٠٪ من الخادمات ذكرن أن الطفل يطعهن أحياناً. وفيما يتعلق بتقليد الطفل الدائم للخادمة، فقد جاءت مجالات التقليد كما أشارت إليها الخادمات في طريقة الكلام ٧٦٪، وفي طريقة اللبس ٢٤٪، وفي متابعة الأفلام التي تحبّها الخادمة ٣٦٪.

لقد عرضت هذه الدراسة على مجموعة من الأمهات اللواتي يستعنّ بالخدم في تربية أطفالهن، ووجدت إجماعاً على الإقرار بهذه السلبيات، ولكنهن يرين أنه يمكن الاستغناء عن المربية إذا توافر للأم ما يأتي:

- توفير حضانة في كل مدرسة تستقبل الطفل من أشهره الأولى؛ لتتمكن الأم العاملة من الاطمئنان على أطفالها في أثناء الدوام، حتى إرضاعه إن كان في دور الرضاعة بدلاً من فطمه وتركه مع الخادمة.
- توفير نوادٍ للأطفال تعمل فيها متخصّصات، وفيها برامج ترفيهية مدروسة تناسب عمر الطفل، وأن تكون بأسعار معقولة، ويعفى من الرسوم الأطفال المحتاجون.
- توعية الطالبات في المرحلة الثانوية بأهمية دور الأم، ونبذ الاعتماد على غيرها في التنشئة.
- تقنين الطلب على العمالة الوافدة، وتوعية المواطنين بأضرار الاعتماد على الخادمة في تربية الأطفال.
- تذكير الأم بدورها الأول في الحياة، وتكثيف المحاضرات والندوات التي تدعو إلى ذلك، وإبراز الدور غير الحضاري الذي يعكسه الاعتماد على المربية.
- تخصيص جائزة سنوية لكلّ أمّ ثبت أنها أدّت دورها في تربية أطفالها دون الاتّكال على الخادمة.
- تسخير وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية لترغيب الأمهات في عدم التنازل عن أدوارهن، والتركيز في المتعة التي تنالها الأم بقربها من أطفالها.

وأرى أنها مطالب مشروعة أضعها أمام المسؤولين الذين لا شكّ أن الطفولة وحمايتها تشكّلان لهم هاجساً قوياً.

المراجع

الأطفال والإدمان التلفزيوني. تأليف: ماري وين، ترجمة: عبد الفتاح الصبحي، الكويت، عالم المعرفة، يوليو عام ١٩٩٩م.

خادم الحرمين الشريفين رعى حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية

رعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - حفل تسليم جائزة الملك فيصل العالمية الثانية والثلاثين لسنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م للفائزين بها، بحضور صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز - ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - وصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز - النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية - وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز - أمير منطقة الرياض - وفخامة الرئيس فيليب فيجانوفيك - رئيس جمهورية الجبل الأسود - وذلك في قاعة الأمير سلطان الكبرى في مركز الفيصلية التابع لمؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض.

وقد ألقى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - أمير منطقة مكة المكرمة، والمدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية - كلمةً قال فيها: «بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. خادم الحرمين، واختيار الأمتين، الملك عبدالله



خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد والأمير خالد الفيصل



رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان



البروفيسور عبدالرحمن الحاج صالح



البروفيسور منير بعلبكي

بن عبدالعزيز، صادق الوعد، أمين العهد، الأمير سلطان بن عبدالعزيز. أصحاب الفخامة والدولة والسمو، أصحاب المعالي والسعادة، المحتفون والمُحتفى بهم. السلام عليكم، عصر ذهبي، ووطن أبي، وملك استثنائي، وأميرٌ خيرٍ للعهد وليّ، ومملكة اعتدال إنسانية، في حقبة تاريخية، وضعت على الزمان بصمة سعودية، وفكراً وعلماً وجائزة عالمية، وحضوراً قيادياً غير عادي، ومساءً شاعرياً نجدياً، وصحراء.. نعم صحراء أغاثها الله بسقيا رحمة، فأنبتت أرضها معرفة، وأزهرت رياضها خزامى فكر، وأقحوان ثقافة، فتفتّقت عقولها شذًا وعطراً. إنها العالمية في جائزة، والعلم في تكريم، والسعودية في إبداع.

علماء وباحثون وقياديون خدموا الإنسانية، وأسعدوا البشرية، فكانت كلمة الشكر عربية سعودية. أيها الفائزون، بفضلكم تُشكرون. اللحظة لكم، والكلمة لكم.. والسلام عليكم».

وألقى الدكتور عبدالله الصالح العثيمين - الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية - قصيدةً معبّرة عن هذه المناسبة، أشاد فيها بدعم خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين للفكر والثقافة.

وأعلن الدكتور العثيمين أن جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام فاز بها دولة رئيس وزراء جمهورية تركيا رجب طيب أردوغان؛ تقديراً لجهوده العظيمة في المناصب السياسية والإدارية التي تولاها، ومواقفه العظيمة وطنياً وإسلامياً وعالمياً.

وألقى دولته كلمةً عبّر فيها عن بالغ سعادته بمنحه جائزة الملك فيصل العالمية، كما عبّر عن عميق تقديره لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، والقائمين عليها، وأعضاء لجنة الاختيار للجائزة؛ لتكريمه بهذه الجائزة الرفيعة. وقال: «لعل من نافلة القول أن أشير إلى وجود كثير من العوامل التي توحّد بين شعوبنا في هذه المنطقة. بيد أنني أؤمن بأن أهم هذه العوامل على الإطلاق هو أننا جميعاً نعتنق ديناً واحداً، اسمه يعني السلام. وقد ظللنا




البروفيسور رينهولد جانز

عبر التاريخ، وحيث عشنا، وأينما كنا، ندعو إلى السلام والقيم الإنسانية وحقوق الإنسان».

وأكّد أردوغان أن تركيا تبذل جهوداً مخلصة للوصول إلى السلام والاستقرار والأمن في هذه المنطقة، وأضاف: «إنني أؤمن بقوة أن جميع دول المنطقة التي تشاركنا في التاريخ والثقافة تتطلع مثلنا إلى رؤية نهاية قريبة للحروب والصراعات التي سادت في المنطقة. ومما يثلج صدورنا أننا لسنا وحدنا في هذا الجهد. إن جائزة الملك فيصل العالمية تشكّل إسهاماً عميقاً في هذا الصدد؛ فهي تشجعنا وتدعم مسعانا».

وقد فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية والأدب لسنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م، وموضوعها: (الدراسات التي عُنيت بالفكر النحوي عند العرب)، مناصفةً كلٌّ من: البروفيسور الجزائري عبدالرحمن الحاج صالح - الأستاذ في جامعة الجزائر، ورئيس المجمع الجزائري للغة العربية - والبروفيسور اللبناني رمزي منير بعلبكي - أستاذ كرسي الدراسات ولغات الشرق الأدنى في الجامعة الأمريكية في بيروت.

ومُنح البروفيسور الحاج صالح الجائزة تقديراً لجهوده العلمية المتميزة في تحليله النظرية الخليلية النحوية، وعلاقتها بالدراسات اللسانية المعاصرة، وفي دفاعه عن أصالة النحو العربي، وإجرائه مقارنات علمية بين التراث ومختلف النظريات في هذا الموضوع، إضافةً إلى مشاركاته في الدراسات اللسانية بحثاً وتقويماً وتعليماً، وجهوده البارزة في حركة التعريب.

وقال البروفيسور عبدالرحمن الحاج صالح في كلمته: إن الجائزة تعدّ شرفاً عظيماً له ولبلاده، بوصفها أول جائزة تنالها بلاده، سائلاً الله أن يمنّ على علماء بلاده المتميزين بأمثالها، وقال: «كيف لا أفتخر وقد صرتُ عضواً من جماعة العلماء المتميزين الحاملين لهذه الجائزة؟!».

وقد مُنح البروفيسور رمزي منير بعلبكي الجائزة تقديراً لجهوده العلمية، ودراساته النحوية الأصيلة باللغتين العربية والإنجليزية: إذ أسهم في تعميق المعرفة بالنحو العربي وجهود النحاة وأصالة مناهجهم لدى المؤسسات العلمية في الغرب، وبخاصة كتابته المعمّقة عن كتاب سيبويه وأنماط التحليل اللغوي التي أرساها واستقاها النحاة من بعده.

وأشار البروفيسور رمزي منير بعلبكي في كلمته إلى الطفرة



البروفيسور جو بيير بيلتي



البروفيسورة جوان مارتل بيلتي



البروفيسور إنريكو بومبيري

المذهلة التي شهدها العصر الحديث في تقدّم الدراسات التي تُعنى بالفكر النحوي العربي، وتحقيق التراث العربي تحقيقاً أكاديمياً سليماً، والتوسّع في طرح القضايا المتعلقة به.

وأعلن الأمين العام للجائزة أن جائزة الملك فيصل العالمية للطب لسنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م، وموضوعها: (علاج أمراض تأكّل المفاصل من دون استخدام الجراحة الاستعاضية)، فاز بها مشاركةً كلّ من: البروفيسور الألماني رينهولد جانز -رئيس قسم جراحة العظام الفخري بجامعة بيرن في سويسرا - والبروفيسور جو بيير بيلتي - رئيس مركز أمراض المفاصل، ومدير وحدة أبحاث تأكّل المفاصل - وزوجته البروفيسورة جوان مارتل بيلتي - المديرة المناوبة لوحدة أبحاث تأكّل المفاصل في مستشفى جامعة مونتريال.

وألقى البروفيسور رينهولد جانز كلمةً أشاد فيها بما تقوم به مؤسسة الملك فيصل الخيرية في تقدير الإنجازات المتميزة من جميع أنحاء العالم، وقال: «إن المرشحين لجائزة رفيعة كجائزة الملك فيصل العالمية في الطبّ غالباً ما يكونون من الباحثين في العلوم الأساسية»، منوّهاً بأن موضوع (علاج أمراض تأكّل المفاصل من دون استخدام الجراحة الاستعاضية)، الذي اختير للجائزة هذا العام، أتاح الفرصة للبحوث السريرية للترشّح للجائزة؛ بسبب ما حظي به هذا الموضوع من تقدير واهتمام من المسؤولين عن الجائزة.

وألقى البروفيسور جون بيلتي كلمةً عبّر فيها نيابةً عن البروفيسورة جوان مارتل بيليتي، وأصالةً عن نفسه، عن عميق امتنانهما لجائزة الملك فيصل؛ لتقديرهم جهودهما في مجال علاج أمراض تأكّل المفاصل من دون استخدام الجراحة الاستعاضية، وتشريفهما بهذه الجائزة الرفيعة، وفخرهما بالانضمام إلى قائمة الفائزين المتميزين بها. وأضاف أن أعضاء فريقنا المخلصين في المستشفى الجامعي ومركز الأبحاث في جامعة مونتريال درسوا مظاهر مرض تأكّل المفاصل وآلياته، وتعرفوا أهدافاً يمكن التحكم بها دوائياً، وعقاقير يمكن استخدامها لعلاجه والوقاية منه، ومن ثَمّ القضاء عليه وعلى مضاعفاته نهائياً.

وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم، وموضوعها: (الرياضيات)، مناصفةً كلّ من: البروفيسور الأمريكي إنريكو بومبيري - أستاذ كرسي إيه بي إم فون نيومان في مدرسة الرياضيات في معهد الدراسات المتقدمة في برينستون بالولايات المتحدة الأمريكية - ومواطنه البروفيسور تيرينس شاي شن تاو - أستاذ كرسي جمس وكاروال كولينز. ورئيس قسم الرياضيات في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس.

وقد ألقى البروفيسور إنريكو بومبيري كلمةً أشاد فيها بدور جائزة الملك فيصل، مؤكداً أنها تبعث رسالةً واضحةً مفادها أن الإنجازات الفكرية لا تعرف الحدود، وعبّر عن سعادته بتمثيل الرياضيات والفيزياء والطب في هذه الجوائز، مشيراً إلى الدور الكبير الذي قامت به الحضارة الإسلامية في المحافظة على هذه المعارف ورعايتها وتطويرها.

وألقى البروفيسور تيرينس شاي شن تاو كلمةً أشار فيها إلى الدور الذي قامت به الحضارة العربية في المحافظة على المعارف الكلاسيكية في الرياضيات في الوقت الذي كانت فيه أوربا غارقة في العصور المظلمة.



البروفيسور تيرينس شاي شن تاو



حظيت قضية فلسطين والقدس باهتمام العرب والمسلمين، وكان للمملكة العربية السعودية دور بارز في هذا المجال منذ بداية القضية حتى يومنا هذا.

افتتحه الأمير سلمان وأردوغان

معرض القدس الشريف وفلسطين.. حتى لا ننسى

سيد الجعفري - هيئة التحرير

تصوير: عبدالرشيد شمس الدين

كان الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - يضع قضية فلسطين نُصب عينيه، ويرى أنها قضية الأمة الأساسية. وورث عنه ذلك أبناؤه الملوك من بعده، وكان تبنّي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - مبادرة السلام العربية منسجماً مع هذا التوجُّه الأصيل في السياسة السعودية.

وكان الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - لا يألو جهداً في سبيل نصرة قضايا أمّتيه العربية والإسلامية، فكان صاحب مبادرة التضامن الإسلامي، ولم يَدَعْ في سبيل ذلك باباً إلا طرقه. وكانت القضية الفلسطينية تمثّل تحدِّياً رئيساً في سياسته الخارجية، وكانت أمنيته أن يصلّي في القدس بعد تحريرها.

واستلهاماً لنهج الملك فيصل كان اهتمام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالقدس الشريف؛ لما لها من تاريخ وقدسية، وما يمثّله المسجد الأقصى للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. كما كان اهتمامه بالتطورات الأخيرة على الساحة السياسية، عندما أعلنت دولة الاحتلال أنها بصدد بناء مستوطنات جديدة في مدينة القدس.

وحتى تظلّ قضية القدس حيةً في الذاكرة العربية أقام المركز معرض (القدس الشريف وفلسطين) متواكباً مع حفل توزيع جوائز الملك فيصل العالمية، الذي رعاه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز. وهدف المعرض إلى التعريف بأهمية مدينة القدس الكبيرة، والعمل على إبراز معالمها الحضارية، وتاريخها الثقافي، وموروثها الشعبي، في محاولة للتنبيه على ما تتعرّض له المدينة من عدوان إسرائيلي غاشم يسعى إلى طمس هويتها الثقافية والحضارية، وتزوير التاريخ المقدسي والفلسطيني، وتسويقه عالمياً على أنه تاريخ وإرث يهوديان.

ورعى حفل الافتتاح صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن

الأمير سلمان وأردوغان لحظة قصّ شريط افتتاح المعرض



افتتاح الأمير سلمان بن عبدالعزيز ورئيس الوزراء التركي رجب طيّب أردوغان معرض القدس الشريف وفلسطين دليل جديد على عمق الانتماء العربي والإسلامي لفلسطين والقدس


أردوغان يسجّل كلمةً في سجلّ زوّار المعرض وبجواره الأمير تركي الفيصل


وزير الثقافة والإعلام يصافح السفير المصري وبجواره سفيرا تونس ولبنان

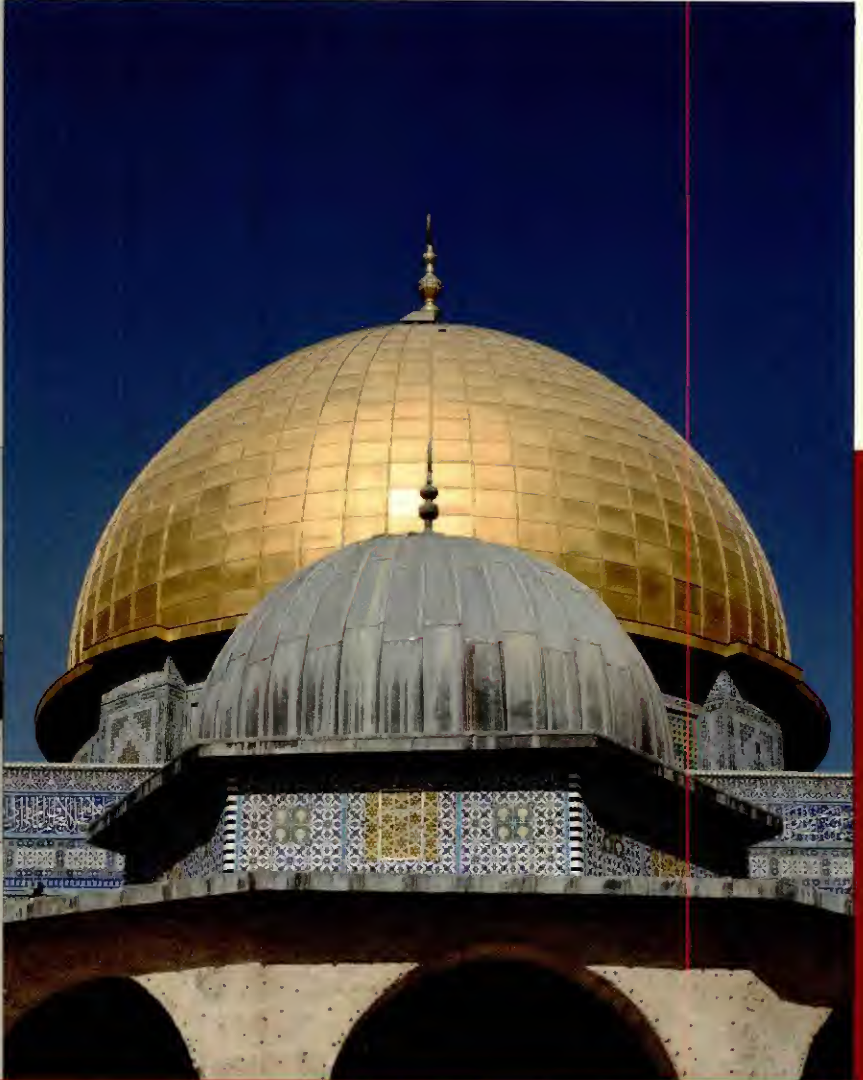
عبدالعزيز - أمير منطقة الرياض - ورئيس الوزراء التركي رجب طيّب أردوغان، المتوّج بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام: لتشهد قاعة التراث الإسلامي بمبنى مركز الملك فيصل بالرياض دليلاً جديداً على عمق الانتماء العربي والإسلامي لفلسطين والقدس.

وحضر حفل الافتتاح صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل - رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - وصاحب السمو الملكي الأمير بندر بن سلمان بن عبدالعزيز، والدكتور عبدالعزيز بن محيي الدين خوجة وزير الثقافة والإعلام، إضافةً إلى بعض السفراء العرب والأجانب لدى المملكة، منهم: السفير المصري محمود محمد عوف، والسفير التونسي نجيب المنيف، والسفير اللبناني اللواء مروان زين، والسفير الصيني يانغ هونغ لين، والسفير الإيطالي يوجينيو دوريا، والسفير الفلبيني أنطونيو فليمامور. كما قام السفير الفلسطيني جمال عبداللطيف الشوبكي بزيارة للمعرض ومعه وفد من السفارة الفلسطينية بالرياض.

• جولة في المعرض

يشتمل المعرض على مجموعة من الوثائق، والطوابع التذكارية، والعملات المعدنية والورقية، والخرائط، والمخطوطات في موضوعات علمية مختلفة كُتبت في فلسطين، أو تحدّثت عنها، وبعض الكتب التي رصدت تاريخ القضية الفلسطينية من جوانبها المختلفة، وبعض المقالات التي نُشرت في صحف عربية في أوج حقبة الصراع، وتظهر شعور المثقفين العرب بالخطر المقبل، وما كتبوه في التحذير منه، إضافةً إلى مجموعة من الملابس والأشغال اليدوية الفلسطينية. وتبرهن مقتنيات المعرض على الوجود العربي في تلك المنطقة قبل قيام الدولة العبرية، التي أدّى قيامها إلى كارثة كبرى بتهجير ملايين الفلسطينيين، ومسخ تاريخ فلسطين وتزويره؛ لإقناع العالم بالواقع الزائف.

وقام رئيس الوزراء التركي خلال جولته في المعرض



مسجد قبة الصخرة



المسجد الأقصى

المسجد الأقصى ليس قبة الصخرة

المسجد الأقصى هو أحد أكثر المعالم قدسيةً عند المسلمين؛ فهو ثالث الحرمين، وأولى القبلتين، وإليه أُسري بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومنه عرج به إلى السماء، وفيه صلّى بالأنبياء إماماً ليلة الإسراء والمعراج، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشدّ إليها الرحال. وهو ساحة مستطيلة الشكل تقريباً، ويقع في الحيّ القديم من مدينة القدس، ومساحته الإجمالية ١٤٤ ألف متر مربع، تمثّل ١٥٪ من مساحة البلدة القديمة. ويحيط بهذه المساحة سور قديم يتخلّله أربعة عشر باباً: عشرة مفتوحة، وأربعة مغلقة. ويتكون المسجد الأقصى من عدة أبنية، ويحتوي على عدة معالم، منها ٦ مساجد، هي: المسجد القِبْلي (الجامع)، وهو المبنى ذو القبة الرصاصية، وهو المصلّى الرئيس للرجال وموضع صلاة الإمام، والمصلّى المرواني، والأقصى القديم، ومسجد البراق، ومسجد المغاربة، ومسجد النساء.

أما قبة الصخرة، فهي المبنى المثمّن ذو القبة الذهبية، وهي للمسجد الأقصى كالقلب من جسم الإنسان؛ فهي تقع في وسطه إلى اليسار قليلاً. وقد سُمّيت بهذا الاسم نسبةً إلى الصخرة التي عرج منها النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء، وهي المبنى المشهور ذو القبة الذهبية، ويصلّي فيها النساء. ويروّج الإسرائيليون أن قبة الصخرة هي المسجد الأقصى؛ ليهدموا المسجد الأقصى بحجة وجود هيكل سليمان أسفله، ولكن السبب الحقيقي هو محو أيّ أثر إسلامي في القدس؛ لتكون القدس إسرائيليةً لا عربية. ويقدّس اليهود مكان المسجد الأقصى، ويطلقون على ساحاته اسم (جبل الهيكل)؛ نسبةً إلى هيكل النبي سليمان المزعوم. وتحاول المنظمات اليهودية المتطرفة التذرّع بهذه الحجة لبناء الهيكل حسب زعمها، ولعلّ ذلك يفسّر الحفريات الكثيرة التي تتم أسفل بناء المسجد الأقصى، وتهدّد بانهيار هذا الأثر الإسلامي المقدّس.

المعرض يبرز أهمية مدينة القدس، ومعالمها الحضارية، وموروثها الشعبي، وينبّه على ما تتعرّض له المدينة من عدوان إسرائيلي يسعى إلى طمس هويتها الثقافية والحضارية


جانب من حضور حفل افتتاح المعرض


السفير الفلسطيني يجول في المعرض

بتسجيل كلمة في سجلّ الزوّار، قال فيها: «إن القدس مدينة في غاية الأهمية؛ فقد تعايش أهلها من مختلف الأديان والأعراق واللغات في سلام منذ آلاف السنين. إن منسوبي العالم الإسلامي والأديان السماوية الأخرى في أقدس الأمكنة الواقعة في هذه المدينة يتعايشون في سلام وتسامح. ولكن للأسف تعيش القدس في يومنا هذا مناخاً سلبياً بعكس وضعها الفريد. إن الإجراءات المتّبعة من جانب واحد ضد القدس، خصوصاً الحرم الشريف، تضعف الرسالة التي تعنيها، وتحزننا في الوقت نفسه. لقد كان الشعب التركي - ولا يزال - حسّاساً فيما يتعلّق بمدينة القدس. واليوم تشعر تركيا بمسؤوليتها التاريخية كلما تألّم أشقاؤها الفلسطينيون في هذه المدينة المقدسة. أتمنّى أن يتحوّل الاحترام المتبادل والتفاهم والتسامح الذي أُنشئ داخل الأسوار التي بُنيت بأمر من السلطان سليمان القانوني في حينه إلى سيل ينطلق من هذه الأسوار ليغمر المنطقة برمّتها تدريجياً».

- إصدارات واكبت المعرض

أصدر المركز على هامش المعرض كتاباً مصوّراً من إعداد الأستاذ إبراهيم باجس عبدالمجيد - المشرف على المعرض - بعنوان: (القدس الشريف وفلسطين: صور من الماضي والحاضر)، يحكي بالصورة شيئاً من التاريخ المعاصر للقضية الفلسطينية سياسياً واجتماعياً وتعليمياً وتراثياً. ويضمّ الكتاب مجموعةً من الصور التي تبيّن المعالم القديمة لبيت المقدس وغيره من مدن فلسطين، إضافةً إلى صور أخرى تظهر الحياة اليومية للفلسطينيين؛ من زراعة الأرض، وصيد الأسماك في بحيرة طبرية، ومشاهد لنساء يستقين الماء في الجرار، وأخريات يقمن بطحن الحبوب في الرحى، أو عمل اللبن من الحليب، أو جمع الحطب من الغابات.

ويتضمّن الكتاب صوراً تحكي قضية القدس وفلسطين، فتتناول الاحتلال الإنجليزي ثم اليهودي وما نتج منهما من تدمير وتشريد ومقاومة، وتظهر بعض الصور المجاهدين من أهل فلسطين

القدس.. المدينة المقدّسة

تقع مدينة القدس في قلب فلسطين، وهي المدينة المقدسة في الديانات السماوية الثلاث؛ فيقدّسها المسلمون لأنها تحوي المسجد الأقصى ثالث الحرمين، وأولى القبلتين، كما عرج منها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء. ويقدّسها المسيحيون لأن فيها وُلد عيسى بن مريم عليه السلام، وتضم كنيسة القيامة. ويقدّسها اليهود؛ لأن شريعتهم ترى أن أهم صلواتهم يجب أن تكون بالتوجّه نحو القدس.

فتح المسلمون القدس سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ثم سيطر عليها الصليبيون عام ١٠٩٩م، قبل أن يسترجعها صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين عام ١١٨٧م. ومن القرن السادس عشر حتى بداية القرن العشرين خضعت القدس لسيطرة العثمانيين. وأول اسم ثابت لمدينة القدس هو (أورسالم)، ويعني: أسّسها سالم، وهو القائد العربي الكنعاني الذي أمر ببنائها، وقيل: (مدينة السلام). ثم ما لبثت تلك المدينة أن أخذت اسم يبوس؛ نسبةً إلى اليبوسيين المتفرعين من الكنعانيين. وقد يكون اسم القدس الشائع اليوم في العربية اختصاراً لاسم (بيت المقدس) أو عبارة (مدينة القدس). وقد أجمعت الدراسات والحفريات الأثرية العربية والعالمية على أن العرب اليبوسيين هم أول من سكن القدس، وأن اليهود أتوا إلى مدينة القدس نحو عام ١٠٠٠ قبل الميلاد؛ أي بعد ٣ آلاف عام من إنشائها على يد اليبوسيين العرب، وقد حاولوا اغتصابها منهم مراراً، ولم يفلحوا في ذلك، إلى أن توصّلوا بما عُرف عنهم من المكر والخديعة بمساعدة بعض الخونة إلى احتلالها. ولم تنجح جميع الحفريات التي قامت بها السلطات الأجنبية في العثور على آثار إسرائيلية أصيلة في القدس؛ لإضفاء صفة الشرعية على احتلالها وتوطين اليهود فيها وتهويدها لاحقاً، فلم تعثر على أثر واحد للهيكل المزعوم، أو ما يُسمّى (هيكل سليمان) الذي يعدّه الإسرائيليون الدليل المادي على أحقيتهم بالمدينة المقدسة.

وإخوانهم المسلمين الذين هبّوا لنصرتهم، وتظهر صور أخرى القمع الذي تعرّضت له المظاهرات التي واجهت الانتداب الإنجليزي. وضمّ الكتاب صوراً لتدريب اليهود نساءً ورجالاً على استخدام السلاح تمهيداً لاحتلال فلسطين كاملةً، وصوراً لاقتحام أعداد كبيرة من اليهود باحات المسجد الأقصى، وصوراً متناقضة ترصد هجرة اليهود من كلّ بقاع الأرض إلى فلسطين في مقابل تهجير أهل فلسطين من أرضهم إلى كلّ بقاع الأرض.

ووزّع المركز خلال حفل الافتتاح ملفاً احتوى - إلى جانب الكتاب المصوّر - على مطويّة تعريفية للمعرض ومحتوياته والهدف من إقامته، إضافةً إلى أسطوانتين (CD): تناولت الأولى (القدس الشريف في الكتب والمقالات والرسائل الجامعية)، وضمّت قائمةً ببليوجرافيةً مرجعية للباحثين والأكاديميين المهتمين بالشأن المقدسي تحتوي على (٣٠٠٠) عنوان لكتاب مطبوع، أو رسالة جامعية، أو مقالة، أو دراسة تتحدث عن مدينة القدس. وتناولت الثانية (فيصل بن عبد العزيز وقضية فلسطين)، فضمّت فلماً تسجيلياً يحتوي بعض خطبه - رحمه الله - حول هذه القضية الحيّة.

وتضمن الملف كتيّبين صغيرين عن (دور الملك فيصل في قضية فلسطين: رؤية تاريخية) للأستاذ أحمد حسن جودة، و(دور الملك فيصل في قضية فلسطين: رؤية فكرية) للأستاذ مشهور الضامن. وضمّ الملف خريطةً عن (التأكّل الفلسطيني والتوسّع الصهيوني)، رصدت وضع فلسطين قبيل الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧م، ثم خلال حقبة الاحتلال البريطاني حتى عشيّة حرب عام ١٩٤٨م، ثم بعد حرب عام ١٩٤٨م، ثم بعد حرب يونيو عام ١٩٦٧م، ثم بعد غزو لبنان عام ١٩٨٢م، ثم بعد اتفاق غزة - أريحا في أوسلو عام ١٩٩٣م، ثم بعد عام ٢٠٠٠م.

وتضمّن الملف ثلاث مطويات للندوة العالمية للشباب الإسلامي: أولاها تعرّف بمدينة القدس، فتتحدث عن البلدة القديمة، وجبال مدينة القدس، وأوديتها، وأبوابها، وتعرّف الثانية بالمسجد الأقصى

أردوغان يتأسّف على المناخ السلبي الذي تعيشه مدينة القدس في هذه الأيام، ويؤكّد أن أهلها من مختلف الأديان والأعراق واللغات يتعايشون بسلام منذ آلاف السنين



بعض مقتنيات المعرض



بعض طلاب المدارس يزورون المعرض

المبارك، فتتحدث عن أطواله، ومساحته، ومعالمه، والمساجد التي يضمّها، وتوضّح اللبس الذي حدث عند المسلمين من أن المسجد الأقصى هو مسجد قبة الصخرة فقط. وتتحدث المطوية الثالثة عن فضل المسجد الأقصى من الناحية الدينية، وأنه أُولى القبلتين، ومسرى النبيّ صلى الله عليه وسلم. إضافةً إلى خريطة تفصيلية توضّح الحفريات الإسرائيلية تحت المسجد الأقصى ومحيطه، التي تهدّد الهوية الإسلامية له.

• حتى لا ننسى

فتح معرض (القدس الشريف وفلسطين) أبوابه لروّاده في فعالية ثقافية مميّزة؛ ليذكّر العالم بالحق العربي الراسخ في أرض فلسطين، وكيف تحوّل المعتدي والدخيل إلى صاحب حقّ يجلد بسياطه أصحاب الأرض، ويدمّر منازلهم، ويعيث فساداً في ممتلكاتهم تحت أنظار العالم المتحضِّر، الذي يشجب تارةً، ويعترض تارةً أخرى، لكنه لا يتوقّف عن تقديم يد العون والمساندة للمُعتدي ضد المُعتدَى عليه.

ويعبّر المعرض بمقتنياته وأدلّته عن عروبة القدس، ويؤكّد شعار (أبداً، لن ننساك يا قدس) في مواجهة العبارة الشهيرة التي أطلقها ذات يوم ديفيد بن جوريون - أول رئيس وزراء لإسرائيل (١٩٤٨- ١٩٥٣م) - بعد احتلال فلسطين: «الكبار سيموتون، والصغار سينسون».

واستلهم المركز زاده في تنظيم هذه الفعالية من عبارات من يحمل اسمه - الملك فيصل بن عبدالعزيز - وهو يستصرخ المسلمين قائلاً: «إن القدس الشريف يناديكم، ويستغيث بكم لتنقذوه من محنته وما ابتلي به»، بل تخنقه العبرة وهو يقول: «إنني حينما أتذكّر حرمنا الشريف، ومقدساتنا تُنتهك وتُستباح... فإنني أدعو الله مخلصاً إذا لم يكتب لنا الجهاد، وتخليص هذه المقدسات، ألاّ يُبقيني لحظةً واحدةً على قيد الحياة».



تركي بن إبراهيم القهيدان

بريدة - السعودية

أودية بُريـــدة .. هل تفعل ما فعلته أودية جدة؟


السيول تحيط بالمناطق السكنية

تعدّ مدينة بُريدة من أهم المدن في المملكة، وثاني مدينة في منطقة نجد بعد مدينة الرياض، ومن يتمعّن في تخطيط بُريدة من حيث اختيار بعض مواقع المنشآت، وتوزيع الأحياء؛ فإنه سيتبيّن له جلياً أنها منتشرة بشكل عشوائي، ولا تخضع للمستوى العلمي من حيث سطح الأرض؛ إذ لم يؤخذ فيه الجانب الجغرافي، ولم تراع فيه مجاري الأودية والشعاب والتضاريس المنخفضة، وغيرها من المخاطر البعيدة المدى. ومن أمثلة ذلك: اختيار موقع مستشفى الملك فهد التخصصي، وحي المطار القديم، في أمكنة منخفضة، واختيار شركة الكهرباء في منطقة منخفضة بجوار وادي الرُّمَة، وكذلك اختيار مكان مصفاة بترومين بجوار مطار القصيم، ولا يخفى على أحد خطورة ذلك عند حدوث كارثة سقوط طائرة عند الهبوط أو الإقلاع. ومما زاد الطين بلة اختيار جامعة القصيم بجوار المصفاة. وحتى الآثار لم تسلم من عشوائية اختيار الأمكنة؛ إذ تم اختيار مصبّ الصرف الصحي بجوار منشآت البُرَيْكَة (العَوْسَجة) الآثارية، وهي محطة من محطات الحج البصري تقع شمال الرُّبَيْعِيَّة، ويزيد عمرها الزمني على ١٢٠٠ سنة. ومن المؤسف أن الدول المتقدمة تنقب عن آثارها بالفرشاة، بينما نحن نضع عليها مصبّ الصرف الصحي!. وعلى كل حال، هناك كثير من الأمكنة التي لم تجرِ فيها دراسة أو أيّ تخطيط، ويستطيع أيّ طالب في الهندسة أو جغرافي مبتدئ أن يثبت أن اختيار تلك الأمكنة التي أنشئت عليها تلك المنشآت قرار غير صائب. لكن السؤال هنا: ما المسوّغ الذي يجعلنا نختار مثل هذه الأمكنة، خصوصاً أن مساحات من الصحراء تحيط بنا من كل جانب؟

الأودية في بريدة

لا يخفى على الجميع خطورة السماح للمخططات السكنية في بطون الأودية وعلى ضفافها، وهذا ما يعرّض ساكنيها للهلاك. ويسيل في بُريدة واديان: الأول: وادي الفَاجْرة، ويأتي سيله من الشمال باتجاه الجنوب، ماراً بحي الصفراء، ثم دوار المعهد الزراعي سابقاً، ثم شارع الأربعين، وعندما يصبّ في جفر الحمد (مكان بلدية بريدة في الوقت الحالي) يتفرع إلى فرعين؛ أحدهما غربيّ محاذٍ لنفود الشماس إلى الغرب من شارع الصناعة على بعد

آثار سيول جدة

٨٠م أو نحوها، ويمر بحي الشماس، ثم يصبّ في العجيبة. ويذكر كبار السن أن هجرة سكان العابْسِيّة (خَبّ القوَيْع التَّحتي) كانت بسبب هذا الوادي؛ وذلك بعد أن قام أحد أمراء بُريدة ببناء سدّ في مجراه بهدف جلب السيول نحو مزرعته في شمال الشماس، لكن المياه غيّرت مجراها نحو العَابْسِيّة، فهدم مساكنها.

أما الفرع الثاني فهو شرقيّ، ومجراه في شارع الخُبَيْب (يُعرف اليوم باسم: طريق الملك عبدالعزيز)، ويصبّ في السَّادَّة، وقد سُمِّيت بهذا الاسم لأنها تسدّ مجرى وادي الفَاجْرة بعد أن يعبر شارع الخُبَيْب. ويذكر كبار السن أيضاً أن سبب تسمية الفَاجْرة بهذا الاسم أنه استطاع أن يفجر رمال السَّادَّة. لكن بعد أن قام الأهالي بجلب الطين من منطقة جفر الحمد لبناء المساكن تكونت منخفضات، ومن ثَمّ أصبح نهاية هذا الوادي فيها منذ قرابة نصف قرن أو يزيد.

أما الوادي الثاني فهو (وادي الوِدَيّ)، ويأتي سيله من الشمال (بميل نحو الغرب) باتجاه الجنوب (بميل نحو الشرق)، ويبدأ





بريدة.. تاريخ تليد

هي مقرّ الإمارة في منطقة القصيم، وتتوسط المنطقة تقريباً، وهي مدينه تجارية، وتقع على هضبة واسعة تنحدر من الغرب إلى الشرق. وهناك بعض المنخفضات التي تقع بين التلال والمرتفعات الرملية، وبعض تلك المنخفضات أراض زراعية خصبة جداً؛ بسبب سهولة استخراج المياه من باطنها المغطى بطبقة من الصخر الكلسي والجبسي.

ومناخ بريدة بوجه عام قاريّ؛ لإحاطة المسطحات الرملية بها، وقلة أمطارها؛ فهي حارة صيفاً، باردة شتاءً، قليلة الرطوبة النسبية، وتسودها الرياح الشمالية التي تخفّض الحرارة في الصيف، والشمالية الشرقية التي تعمل على خفض الحرارة في الشتاء. وتقدّر مساحة مدينة بريدة حالياً بنحو ألفي كيلومتر مربع.

وقيل: سُمِّيت بريدة بهذا الاسم لبرودة مائها، وقيل: إنها كانت روضة تتجمع فيها المياه فتنبت البردي، وقيل: إنها سُمِّيت على اسم الصحابي بريدة بن الخصيب الذي حفر بها بئراً يرتوي منها الناس.

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه في نحو سنة ٩٨٥هـ قام رجل من بني تميم، يُدعى راشد الدريبي، بتأسيس أول تجمّع سكاني في بريدة حين اشترى الأرض من آل هذال، فعمّرها وسكنها هو ومن معه من عشيرته، ثم توالى بعد ذلك استقرار عشائر أخرى.

بنى الدريبي في البداية سوراً حول المدينة، وبعد ذلك بنى ولده سوراً، وجاء من بعده حجيلان بن حمد فبنى سوراً، وفي سنة ١٣٠٧هـ شيّد حسن المهنا سوراً، ومن بعده ولده صالح الذي بنى آخر سور عُرف لبريدة.

وقدم مدينة بريدة تم الاستدلال عليه بالأواني الفخارية والنقود الإسلامية التي عُثر عليها في ضاحية التغيرة الواقعة شرق مدينة بريدة، التي شُيِّد على جزء منها مستشفى الملك فهد التخصصي؛ مما يثبت أن هذا المكان سبق استيطانه منذ القدم.

لا يخفى على الجميع خطورة السماح للمخطّطات السكنية في بطون الأودية وعلى ضفافها، وهذا ما يعرّض ساكنيها للهلاك

من (البُطَيْن)، ثم ينحدر باتجاه بُريدة، ماراً بعمائر الراجحي، وإمارة القصيم، ومستشفى الملك فهد التخصصي، ثم التغيرة، ثم (النَّقَع)، وأخيراً يصبّ في خب العكْرش.

وقد أكد العبودي أن هذا الوادي يطلق عليه اسم (البَطْن)، فقال: والوادي هذا، واسمه القديم (وادي البطن) هذا مما لا شك فيه، وسُمِّي بهذا الاسم لأنه يأتي من (البُطَيْن) الذي كان يُسمَّى قديماً البَطْن[1]. واستدلّ على ذلك في موضع آخر بشعرٍ نقلاً عن ابن الأثير، منه قول الشاعر شِرْحاف:

تركنا بالنُّقيعة آل عَبْسٍ ... شَعَاعاً يُقْتَلون بكلّ وادِ

إلى أن قال:

تركتُهُمُ بوادي البطن رَهْناً ... لسيدان القرارة والجِلادِ[2]

والنقيعة في الزمن القديم - كما يذكرها العبودي في مُعْجَمه - هي (النَّقَع) في الوقت الحالي(٣). قلتُ: يبدو أن هناك علاقة بين اسم وادي الباطن (الرُّمَة) والبُطَيْن؛ إذ ليس لديّ أدنى شك في أن (وادي الوِدَيّ) كان من روافد وادي الرُّمَة خلال العصور المطيرة، لكنّ زحف الرمال (نفود بُريدة) حال بين الواديين.

لمحة تاريخية

سال (وادي الوِدَيّ) ووادي الفَاجْرة خلال القرنين الماضيين عدة مرات، منها: سنة ١٢٩٦هـ تقريباً، وسنة ١٣١٦هـ، وسنة ١٣٤١هـ (سنة الغرقة)، وسنة ١٣٧٦هـ (سنة الهدام)، وفي سنة ١٣٨٨هـ كادت سيول وادي الفَاجْرة تفيض من منطقة جفر الحمد نحو مجرى الوادي القديم، لكن حال دون ذلك مصدرات ترابية وضعتها البلدية لحماية المساكن المبنية في مجراه من الغرق؛ فقد كان جريانه بلا شك عندي يشكّل

البناء في مجرى السيول من أسباب الكارثة

خطورةً على المدينة. ومما يؤكد ذلك ما يذكره بعض كبار السن بالمنطقة أنه عندما سال وادي الفَاجْرة في سنة ١٣٤١هـ، وسلك فيها طريقه القديم عبر شعبته الغربية الذي يحاذي نفود الشماس، أثار مقابر قديمة حتى وصل إلى قرب العجيبة عند ملك العبودي، وقد ذكر العبودي أن والده - رحمه الله - قال: شاهدنا كثيراً من المقابر إلى الشرق من جهة مسيل الوادي هذا وقد أثارها السيل، ويدلّ منظرها على أنها مقابر قديمة؛ مما يرجّح أن هذه المنطقة كانت قد شهدت عمراناً قديماً، بل كان فيها بلدة لا نعرف عنها شيئاً[٤].

وأكد أيضاً الشيخ ابن عبيد خطورة الأمطار في حوادث سنة الهدام (١٣٧٦هـ) بقوله: تقدّر البيوت التي سقطت من هذه السيول في العاصمة بريدة نفسها بثلاثة آلاف بيت. ويضيف في موقع آخر: كما أن وادي الفاجرة الذي كان مجراه في قلب الخبيب جرى ومنع الداخلات والخارجات من السيارات[٥]. لكن العبودي





يذكر أنه أصبح سيله يصبّ في الجفر ولا يتعداها. وآخر مرة سال فيها وادي الفاجرة إلى الخبيب كانت سنة ١٣٦١هـ، فهدم بيوتاً، وحمل أبوابها وأخشابها مع أخشاب أخرى جنوباً إلى السادّة[٦].

قُلْتُ: أذكر عندما تهطل الأمطار ونحن صبية أننا نعبر بحيرة في وادي الفَاجْرة - شارع الخُبَيْب - من ضفته الشرقية إلى ضفته الغربية فوق باب من الخشب. أما المطار القديم وحي (النَّقَع) فيصعب المرور بهما، وأقرب ما تكون مستنقع من الطين. والسؤال هنا: هل التخطيط الحديث لأحياء بُريدة تمّ وفق طرائق علمية؟ وهل تمّت مراعاة الجانب الجيومورفولوجي والجيولوجي؟ ليس لديّ أدنى شك فيمن قال: إن الأحياء الحديثة حالياً خالية من المشكلات، بأنه واهم. ولعلّ ما حدث خلال السنوات الماضية من مشكلات لبعض الأحياء في بُريدة، خصوصاً حي الإسكان، ومستشفى الملك فهد التخصصي، يؤكد وجود مشكلة لا بد من إيجاد الحلول لها عبر دراسات دقيقة من المختصين.

الدراسات السابقة

هذه المشكلة سبق أن طرحتُها خلال مشاركتي بورقة عمل في المؤتمر الدولي (التنمية وتأثيرها في البيئة)؛ إذ نبهتُ إلى خطورة تصريف مياه الأمطار بحي الإسكان بقولي: يعدّ حي الإسكان من الأحياء الجديدة، وتصميمه وفق طرائق حديثة. يُعاب على هذا الإنجاز الكبير، الذي يعبّر عن التطور الذي تشهده البلاد، وجود هذه البحيرة.

وهي منطقة تجمّع مياه تصريف السيول بهذا الحيّ، وتعدّ هذه الطريقة بدائيةً؛ لما تسبّبه من أمراض وتكاثر للبعوض، يُضاف إلى ذلك ما يعانيه بعض سكان المنازل في المناطق المنخفضة من خروج المياه إلى مناطقهم بعد امتلاء هذه البحيرة عند هطل الأمطار في فصل الشتاء، وأكثر المنازل المتضررة من ذلك هي التي تحمل أرقام تزيد على ٤٠٠ في حيّ ٦ قرب البحيرة. والحل هو ربط هذه البحيرة بشبكة تصريف السيول، والاستفادة من هذه المياه في الري. (هذا ما نبّهتُ إليه في بحثي ص٢١).

ثم ذكرتُ ما حدث بعد تقديم هذا البحث في كتابي الموسوم: (ملوّثات البيئة في مدينة بُريدة: المشكلة والعلاج)، الصادر في سنة ١٤١٨هـ، وهو ما يأتي: «أزفّ للمعنيين الصورة التالية في يوم الأحد الموافق ١٤١٨/٧/٩هـ: فهي معبّرة عن الكلام، علماً أنني قد ذكرت ونبّهت في بحثي تضرّر سكان تلك المنازل، على أمل أن لا تتكرر المأساة».

لذا آمل أن تتم دراسة جميع البحوث المقدمة بكل عناية ودقة من المعنيين، وألاّ تذهب جهود الباحثين والأموال المنفقة أدراج الرياح، ولو أخذ في الحسبان ما ذكر لما تكرّرت المأساة في حي الإسكان. (انتهى ما ذكرتُهُ ص٣٤ في سنة ١٤١٨هـ). ثم تكررت هذه المشكلة في وقت قريب.

تصور الباحث

يتّضح من خلال ما ذكرتُ آنفاً أن جلّ مجرى الواديين تحوّل إلى مساكن ومنشآت حكومية ومحلات تجارية؛ لذا من الصعوبة أن يجري الوادي بمجراه السابق نفسه في المدن من دون أيّ تغيير؛ فمن المعلوم أن تضاريس سطح الأرض في المدن تتغير بسبب التغييرات التي تحدث من شق طرق ومخططات طمرت مجاري الأودية، ومن ثَمّ تشقّ جوانب من الأودية مجاري جديدة، لكنها باتجاه انحدار سطح الأرض العام. ومن المحتمل أن يعيد التاريخ نفسه، والعلم عند الله سبحانه وتعالى، فتشهد المنطقة هطل أمطار غزيرة خلال مُدَدٍ متباعدة تراوح بين عقدين وبضعة عقود. ويعتقد الباحث عند ذلك أن يسيل وادي الفَاجْرة ووادي الوِدَيّ في بُريدة. لكن سيكون جريانهما في البداية مع روافدهما متقطعة: أي: تجري في أحواض جديدة مغلقة على شكل عدة شعاب صغيرة ينتهي كل واحد منها في بحيرة، ومن أمثلة ذلك بحيرة حي الإسكان، ومستشفى الملك فهد التخصصي (أكد بعض الباحثين المتأخرين في وسائل الإعلام أن هذا المستشفى في مجرى وادي الفَاجْرة!. وهذا خطأ، وليس لديّ أدنى شك في ذلك، والصواب أنه وادي الوِدَيّ)، والتغيرة (سُمّيت بهذا الاسم لأنها كالحلق تستقبل السيول ثم تتغرها؛ أي: تقذف بها إلى النَّقَع). ومع تزايد هطل الأمطار، وحدوث جريان سطحي عظيم، يساعده على ذلك تحول معظم أجزاء حوض الوادي وروافده إلى طبقات غير مسامية؛ كالطرق المزفّتة والمرصوفة والمنازل السكنية؛ تتجمع السيول في البحيرات حتى يزداد منسوبها فتفيض، ثم تشق طريقها نحو الحوض المجاور، حتى يزداد منسوبها فتفيض



مياه السيول غمرت أنفاق الطرق

على جارتها، وهكذا. وبعد أن ترتبط البحيرات بعضها ببعض عبر كل جانب من الوادي المتقطع في طريقه الرئيس يكون الوادي بذلك قد قارب على شق مجراه القديم نفسه، حتى ينتهي في بحيرة كبيرة مشكلة خطورةً على المناطق السكنية في بطون الأودية وفي مصبّاتها؛ كحي المطار والسّادّة والنَّقَعْ (سُمِّيَت بهذا الاسم لأن تربتها طينية، وإذا صبّت فيها مياه سيول وادي الوِدَيّ تتجمع بها مدة طويلة). والعامة تقول: وادي سال لابد ما انه يسيل. وأقول: خلال دراساتي الميدانية تبيّن لي أن الأودية عند هطل أمطار غزيرة لا تغيّر مجاريها إلا في حالات نادرة. والرسول - صلى الله عليه وسلم - نهى عن السكن أو النوم في مجاري السيول أو الأودية. وحتى لا نبالغ في الصورة أودّ التنبيه على أن الأودية في المناطق الرسوبية المستوية السطح لا تكون بقوة الأودية القادمة من الجبال ذات الصخور النارية وسرعتها كما حدث في مدينة جدة.

الحلول المقترحة المؤقتة لجميع مدن المملكة

- أخذ الحيطة بتنبيه المواطنين عبر وسائل الإعلام بالطرائق الواجب اتّباعها عند حدوث مثل هذه الكوارث.
- توزيع مجموعة من الكتيبات والنشرات التوعوية التي تتحدث عن مخاطر السيول.
- بلادنا مملوءة بالطاقات المتقنة لفنّ تخطيط المدن؛ لذا نقترح الاستفادة من تلك العقول باستقطابها وتهيئة سبل العمل لها.
- تشكيل لجنة لإيجاد الحلول المؤقتة التي تحدّ من أخطار السيول في أسرع وقت ممكن.
- إنشاء إدارة متخصصة في هذا المجال.
- الرجوع إلى المختصين عند اعتماد المخططات من قبل البلديات.
- عند هطل أمطار غزيرة، خصوصاً في المدن المعرضة لخطر الأودية، يجب رصد منابع الأودية في أثناء جريانها باستخدام الأجهزة الحديثة، ومن ثَمّ تنبيه المواطنين قبل وصولها إلى المساكن عبر مكبرات الصوت. وفي اللحظة نفسها أيضاً يباشر الدفاع المدني عمله بسرب من الطائرات العمودية على امتداد الوادي يقوده كوادر مدربة لمثل هذا العمل؛ لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

الحلول المقترحة الدائمة لجميع مدن المملكة

- تجهيز شبكة تصريف السيول لمثل هذه الكوارث لا قدّر الله.
- الاستفادة من تجارب المدن العالمية والداخلية: كالجبيل، وينبع، وأرامكو.
- الأودية المدفونة تشكّل خطراً على ساكنيها؛ لذا يُقترح تشكيل لجنة لفتح مجاريها، أو نزع ملكيتها.

وبسبب توقّع بعض المختصّين هطل أمطار بكميات كبيرة على منطقة نجد - بمشيئة الله تعالى - لذا أنبه المعنيين والمواطنين على أخذ الحيطة والحذر. هذا ما عنّ لي قوله، والمِنة مَن منَّ الله عليه بالإيمان.

الهوامش

(١) العبودي، مُعْجَم بلاد القصيم، ج٦، ص٢٥٣٢.
(٢) الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٢٦.
(٣) العبودي، مُعْجَم بلاد القصيم، ج٦، ص٢٤٣٦.
(٤) العبودي، مُعْجَم بلاد القصيم، ج٥، ص١٨٥٦.
(٥) ابن عبيد، تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، ج٥، ص١٥٣-١٥٥.
(٦) العبودي، مُعْجَم بلاد القصيم، ج٥، ص١٨٥٦.

الورقة الأخيرة

حسناء محمد مكانسي

حلب - سورية

قصة

هو الزمن، وليس سواه، الذي ينسحب من وعينا، يستغبي معرفتنا به، ينسلّ خلسةً كأنه يخاتلنا، يداورنا في مشهد لمسرحية عبثية، لا يكاد يبدأ حوار الفصل الأول حتى يسدل الستار على المشهد الأخير. تطفأ الأنوار، وينصرف الجمهور، ويعم السكون، ويتلاشى الحدث بأبطاله الوهميين، فلا شيء سوى صدى الكلمات والجمل تبقى تُردِّد بين جدران المكان الصامت الحزين.

هكذا ندرك مروره بالمتغيرات الطارئة، لا بالحس العميق لهذا المرور، نراه مرسوماً على وجوهنا في صورة ممثّل ساخر ينظر إلينا في وجوهنا من خلال مرآة الأيام التي نقطع أوراقها ورقةً ورقةً، فلا نحسّ إلا ونحن وجهاً لوجه أمام الورقة الأخيرة مما اصطلحنا على أنه الماضي أو العام الماضي أو الزمن الراحل بحكم الفعل الماضي.

وأقف وقفة المدهوش ساهمةً متأملة فيها: هل أنتزعها؟!! لو انتزعتها أطوي عاماً كاملاً من عمري الذي غدت تمثله ورقة وحيدة معلقة على حامل تقويم.. كان ذاك عاماً ليس كأيّ عام، عاماً زاخراً بالأحداث، بالأفكار، بالحكايا التي تمتطي حروف التاريخ محملةً بالحلو والمر متضافرين في جدلية المشاعر المستريحة في مجرى القلب.. إنها جدلية الحس والزمان. كان الشعور الملتفّ بالجدلية وثيق الإحساس بالأسف تجاه رحيل العام الذي يدون حقيقة الغياب في مسيرة إحساسي بأني كبرت اثني عشر عاماً.. استبدلت بالشهر العام، كبرت، هرمت، ارتعشت يدي كما ترتعش يد عجوز وهي تمتد نحو الوجل في ضبابية الإدراك إلى ما هي ممتدة إليه.. إلى تلك الورقة أقطف بها ما تبقى من حلم قبل يقظة.. لا أعلم ما يخبّئ الآتي خلف رموش الخفاء، غير أنني أستطيع تخيّر الخير في لحظة الوعي بعكس لحظة الغفوة والغياب. وتبقى كل المشاعر في مركب الحياة جامعةً الدنيا كلها في زهرة ياسمين تطفو على سطح الجدول الماضي إلى المجهول، على الرغم من عبق المعرفة التي اكتسبها بهذا المرور اللاشعوري، غير أنه لا بد من سؤال، لابد من حساب أمام صدمة الرؤية مع تلك الورقة الأخيرة، لابد من وقفة طويلة مع الذات على الرغم من معرفة هذه العبثية التي تشعرنا بأننا مرتهنون لنتاج مسيرة محددة تشكل كياننا وبنيتنا التي تلتف بدولاب الحياة الماضي إلى هدفه بسرعة الخطف لتتواصل مع الأبدية، وتعبر إلى قنواتها اللانهائية للوصول إلى الخير الخلاق.

وتمتد يدي ثانيةً بثبات أكبر من ارتعاشة يد العجوز تلك لتقطف كل الثمر الذي انعقد على أغصان شجرة الزمن. ذروا كل الأوراق في الفضاء، وأخلق عري الإبداع والخلق الجديد في أمل جديد وعام جديد، وأخشى أن ينسحب إحساس الأمان من لحنه ليعزف نشيج الدمع الموشّح بتباريح الأحزان، وأتساءل إن كان المقبل أسوأ من الراحل يفتح باباً لتصحّر الروح أكثر، يطوي الأيام بجمر العذاب.. وأبقى في لحظة الخوف تتنازعني مشاعر الفعل وعدمه، أفضّل الضوء بشحّه على الظلام، وشفافية اللون المبهج في ضحالته على الأسود، والسيئ على السوء، أتمنى لو أستطيع أن أجمع من أعوامي الماضية حبات السعادة، أجمعها في عقد زمن قصير يكفي لعمر مزهر، مادمت لا أستطيع أن أحقق طموحات الأمثل في المقبل.. لو كان الأمر كذلك فلأبقى عند لحظة تنازع الزمنين، وترتعش يدي قرب لحظة الملامسة، بينما أناملي تكاد تقبض على كل الزمن المتمثل في الورقة الأخيرة للعام الماضي.. أكاد أتهاوى، غير أن صوتك هو النبع المفضي إلى الأمل، أتوقعه يأتي من بعيد بعد قطف ورقة لم أقوَ على قطفها ليقول لي: أتمنى لك عاماً جديداً سعيداً.. أتراني أسمع هذه العبارة من بين شفتيك تزرع الأمل.. الأمل الذي يقوّي ساعدي من جديد ليرتفع مشفوعاً بك بكلّ الزهور التي نبتت مرة واحدة على أغصان شجرة الزمن التي بدت وارفة.. هكذا فجأةً وبعطرها الفاغم الذي انتشر في أوصالي يدفع في شراييني شعاع الأمل بسعادة مقبلة بعد لحظة العبور من عالم مضى قسرياً إلى عام مقبل مؤمل بالحلم الجميل والخيال المورد.

أبادلك التحية وأنا أقبض على الورقة الأخيرة بكل التشبّث والتصميم محاولةً انتزاعها: علّي أستطيع التنقل معك عبر القناة تلك إلى العالم الجديد بفسيفسائه الكونية. أقول لك وأنت في مواجهة الآتي: نحن على موعد بناء حياة مقبلة نختار منها ما يليق بإنسانيتنا ولك أيها المؤمل، ولكن هل تقوى يدي على انتزاع الورقة أو أبقى عند حدودها؟!!

موسيقا المـــوت

عبدالسلام كامل عبدالسلام

أم درمان - السودان

«كان عمري آنذاك لا يتعدى السبع سنوات عندما شاهدتُ رجلاً شيخاً يُحتضَر. وعلى الرغم من مرور السنين فقد وجدتُ نفسي أستحضر ساعة الموت تلك!!».

وتوقّف القلبُ المحمّلُ بالجمالْ
سكت الفؤاد فلم يدُقّ.. قد استراح من الكلالْ
واللمح في العينين زالْ..
لم تبقَ بعد سوى القليل من الظلال أو الظلالْ..
هي شهقة كانت بداية عالم ثانٍ
وكوناً من مدائن من جلالْ..
أو زفرة كانت نهاية موكب الأحزان في دنيا الضلالْ
كنتُ الشهيد إزاءها.. عاينتها.. أمعنت فيها ناظريّ
حدّقتُ.. حدّق مبصراً قلبي وشاهد في الدجونْ..

ولقيتُ شيئاً كنت أحسب لا يكونْ
لا نبس ثم ولا اصطخاب بل السكونْ
لا شيء من نزق الطفولة والرعونة والجنونْ
والجسم أهدأ ما يكونْ
فكأنه جبل الرمال
أو هكذا نمضي على درب الحياة إلى المَنونْ
ذبلت كوردٍ يابس تلك الخدود الباسماتْ
وخبا البريق من اللحاظ فلا جمال ولا حياةْ
أضحى السكون منشّراً ثوباً ثقيلاً من مماتْ..
يا ويح من سكن، الزمان، دُجى الرفاتْ
يا ويحنا.. يا ويحكم.. يا ويحه.. يا ويحها
كلّ سيشرب كأسه من مترع يُدعى المَنونْ
والوعد صدقٌ لا يخونْ..

قصيدة

قصائد

فيصل صالح القصيري

نينوى - العراق

(١) لا شيء

وعلى مائدة من صُنع يديها

أكلوا.. شربوا

حدَّ التخمة

حدَّ القيءِ

لكن..

ماذا منحوها؟

لا شيءَ!!

(٢) خيبة

منذ عقود

وهي تمدّ يدينِ إلى القمة

لكن..

لا جدوى

منذ عقود

وهي تريدُ الحَمْلَ

ولكنّ الحِمْلَ عسيرٌ

والطفل المأمول مجرد كذبة

منذ عقود

لم تثمرْ في بستان القمة

غير شجيرات الخيبة!!

(٣) أفق

في ذاك الأفقِ

أكون أنا الأرضي

لست أنا الأرضي

أتَّخذ النجمَ بُيوتاً

ومرايا

ونساءً

وأقودُ الغيمَ إلى المنفى

وأقودُ الشمسَ إلى البشرى

كي تولدَ معجزة أخرى



ابن بطوطة في سواكن السودان

عبدالهادي التازي

الرباط - المغرب



أثار انتباهي مقال طريف، بل إنه تأليف جيد قرأته في مجلة (الفيصل) الغراء التي عوّدتنا على التذكير بمواقعنا الأصيلة الأثيلة على طول بلدنا الإسلامي، وذلك في عدد شهر مارس عام ٢٠٠٨م، كتبه الأستاذ الجليل محمد أحمد عبدالرحيم الحيدرابي. كنت في حاجة ماسة إلى هذا المقال الماتع. لماذا؟ لأنه سيمكنني من تأكيد ما كنتُ ردّدته في أجهزة الإعلام تحت عنوان: (اكتشاف غير مسبوق في رحلة ابن بطوطة)، مما نشرته مجلة (الفيصل) ذاتها في عدد ٣٢٥ يوليو عام ٢٠٠٤م.

ولأن هذا المقال سيمكنني من استحضار أكثر للحقيقة حول ذلك الاكتشاف عندما نرى أن ابن جزي - ناسخ رحلة ابن بطوطة - تطاول على صاحب الرحلة ابن بطوطة (توفي سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٩م) عندما أركبه البحر رغماً عنه سنة ٧٢٧هـ عندما قال: إن ابن بطوطة رأى أن يقوم بزيارة لأصفهان وهو بالبصرة، بينما نرى الرحالة المغربي يصرخ - ولا أقول يصرّح - بملء فمه بأنه إنما ركب البحر أول مرة سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م عندما أخذ مركباً من نوع ما كان يسمّى الصنبوق من جدة، فردّته الريح إلى مرسى يُعرف برأس دوائر DEROURA (ج٢، ص٢٥١)؛ بمعنى أن هذا الحديث سيمكننا من تبصير كل المهتمين بحياة ابن بطوطة بأن الرحالة لم يركب البحر إلى أصبهان إلا عند عودته إلى بلاده

سنة ٧٤٤هـ وليس سنة ٧٢٧هـ، الذي كان الرحالة يوجد في أثنائه في مدينة دمشق يقوم بنسخ كتاب (المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم) لأبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي دفين الإسكندرية سنة ٦٥٦/ ١٣٥٨م[١].

لقد كان حديث الأستاذ الحيدرابي مفيداً؛ لأنه وثّق بحثه بعدد من الرسوم والصور التي أثلجت الصدر، وقد كنتُ - كما أشرتُ - متطلعاً إلى معرفة ما يتّصل بهذا الموقع المهم الذي استوقف الرحالة المغربي ابن بطوطة بعد أن تحدث عنه عبدالله بن أحمد بن سليم - سفير القائد جوهر الصقلي لدى أمير النوبة (قيرقي) - يعرض عليه الإسلام في منتصف القرن الرابع الهجري[٢]، وقبل أن يتحدث عنه المستشرق السويسري المعروف جوهن لويس بوركهارت John Lewis Burckhardt دفين مصر سنة ١٢٣٢هـ على نحو ما جاء في النقيشة التي نقلها الشيخ خير الدين الزركلي: «هذا قبر المرحوم إلى رحمة الله تعالى الشيخ حاج إبراهيم المهدي بن عبدالله بوركهارت اللوزاني، تاريخ ولادته ١٠ محرم ١١٩٩هـ، وتاريخ وفاته إلى رحمة الله بمصر المحروسة في ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ»[٣].

لقد قدّرت جيداً بروز زميلنا الأستاذ الحيدرابي بمدينته الجميلة (سواكن)، وحمدت له اهتمامه بماضي هذا الموقع الجغرافي المهم الذي كم كثر الحديث عنه وعليه في مختلف العصور. كم كان الحيدرابي وفياً وهو (ينبش) في تاريخ المدينة البيضاء التي نالت الحظ الأوفر من رحّالتنا العظيم الذي نزلها[٤] قبل أن يحطّ بها داكسترو عام ١٥٤١م على ما يفيده الأستاذ الحيدرابي. ولقد أكبرت في الأستاذ تفقّده ابن بطوطة وهو يتحدث عن مشكل الماء في سواكن، ووددتُ لو أنه أمسك بنصوص ابن بطوطة كلها، وعرّف بالمعلومات المهمة التي أشار إليها الرحالة المغربي في النص.

لقد شعرتُ بأن معظم المعلّقين الذين تحدثوا عن رحلة ابن بطوطة تأليفاً وترجمةً كانوا يشعرون بالحاجة إلى من يأخذ بأيديهم في فهم أكثر لقبائل البجاة (BEDJA) الذين كانوا يقيمون في هذه المناطق[٥] بين النيل والبحر الأحمر، والذين كانوا وراء إغلاق البحر في وجه المماليك، ومن ثَمّ في حرمان ابن بطوطة من عبور البحر سنة ٧٢٦هـ على ما أشرتُ.

لقد كانت أول زيارة ابن بطوطة للمنطقة سنة ٧٢٦هـ/



أوضح ابن بطوطة في مؤلّفه علاقته بالبحر

اقتراحي على زميلنا الأستاذ الحيدرابي أن يقوم بقراءة جديدة لما ورد عند ابن بطوطة، ولما ورد عند المقريزي حول البجاة، ثم لا بد أن يقرأ رحلة بوركهارت إلى بلاد النوبة





مبانٍ عتيقة تتحدى عوادي الزمن في سواكن



١٣٢٦م وهو في طريقه إلى الحج عبر البحر الأحمر. وقد أجاز النيل[1] من مدينة دفو إلى مدينة العطواني حيث أخذوا الجمال مع طائفة من العرب، ونزلوا حُميثرا حيث ضريح الإمام الشاذلي، ثم وصلوا بعد خمسة عشر يوماً إلى مدينة عيذاب، قال: «وأهلها البجاة، وهم سود الألوان، يلتحفون ملاحف صُفراً، ويشدّون على رؤوسهم عصائب، يكون عرض العصابة فيها أصبعاً، وهم لا يورّثون البنات، وطعامهم ألبان الإبل، ويركبون المهاري، ويسمّونها الصهب. وثلث المدينة للملك الناصر، وثلثها لملك البجاة، وهو يُعرف بالحدربي (بفتح الحاء المهملة، وإسكان الدال، وراء مفتوحة، وباء موحدة، وياء)» ج١، ص١١٠.

ولما وصلنا إلى عيذاب وجدنا الحدربي سلطان البجاة الأتراك (يعني جنود المماليك) وقد حرق المراكب، وهرب الترك أمامه، فتعذّر سفرنا في البحر. وعاد مع العرب إلى صعيد مصر، إلى مدينة قوص.

تلك كانت المرة الأولى، وكانت المرة الثانية سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩-١٩٣٠م عندما ركب البحر أول مرة في حياته مع أنه من أبناء طنجة؛ العروس التي يتنافس عليها المحيط الأطلسي والبحر المتوسط.

«لم أكن ركبت البحر قبلها»، يقول ابن بطوطة (ج٢، ص١٥٨). سافر في هذا البحر الأحمر بالريح الطيبة قاصداً بلاد اليمن في جملة من أهل اليمن. لكن الرياح لم تلبث أن تغيّرت وصدّتهم عن السبيل التي قصدوها، ودخلت الأمواج معهم في المركب، حتى

شعرت بأن معظم المعلّقين الذين تحدثوا عن رحلة ابن بطوطة تأليفاً وترجمةً كانوا يشعرون بالحاجة إلى من يأخذ بأيديهم في فهم أكثر لقبائل البجاة

خرجوا في مرسى يُعرف – كما قلنا – برأس دوائر (DEROURA) فيما بين (عيذاب) سالفة الذكر و(سواكن) موضوع حديثنا.

نلاحظ ضعف الخبرة البحرية عند القوم آنذاك؛ فقد كان البحارة يسلكون طريقهم من جدة إلى اليمن على مقربة من الساحل، لكن حدث أن الرّبّان ربما اجتهد فابتعد عن الساحل ليجد نفسه على الضفة الأخرى حيث يلتقي البجاة مرة أخرى. وقد ردّد عنهم بعض ما قاله في المرة الأولى: «وقصدت إلينا طائفة من البجاة، وهم سكان تلك الأرض، سود الألوان، لباسهم الملاحف الصفر، ويشدون على رؤوسهم عصائب حُمراً في عرض الأصبع». قال: «وهم أهل نجدة وشجاعة، وسلاحهم الرماح والسيوف، ولهم جمال يسمونها الصهب، يركبونها بالسروج... فاكترينا منهم الجمال، وسافرنا معهم في برية كثيرة الغزلان. والبجاة لا يأكلونها؛ فهي تأنس بالآدمي، ولا تنفر منه» (ج٢، ص١٦١).



وحتى يعطينا ابن بطوطة فكرة عن الخليط من السكان الذين كانوا في هذه المنطقة قال: وبعد يومين من مسيرنا وصلنا إلى حيّ من العرب يعرفون بأولاد كاهل، مختلطين بالبجاة، عارفين بلسانهم... وفي ذلك اليوم وصلنا إلى جزيرة سواكن، وهي على ستة أميال من البحر، ولا ماء فيها، ولا زرع، ولا شجر، والماء يجلب إليها في القوارب، وفيها صهاريج يجتمع فيها ماء المطر، وهي جزيرة كبيرة، وبها لحوم النعام والغزلان وحمر الوحش، والمعزى عندهم كثيرة، والألبان والسمن، ومنها يجلب إلى مكة... وحبوبهم الجرجور، وهو نوع من الذرة كبير الحب يجلب منها أيضاً إلى مكة (وسنرى البروفسور بوركهارت يتحدث عن هذا النوع من الذرة على أنه ربما يصلح نوعاً من أنواع العملة الرائجة في المنطقة).

ولا يبخل علينا ابن بطوطة بذكر أن لجزيرة سواكن سلطاناً من الأشراف المنتمين إلى أسرة أبي نميّ الشهيرة.

وهكذا يذكر أن سلطان الجزيرة حين وصول ابن بطوطة إليها كان هو الشريف زيد بن أبي نميّ، وأبوه هو أمير مكة، وأخواه أميراها بعده، وهما: عُطيفة، ورُمَيثة.

وقد صارت الجزيرة (سواكن) إلى زيد من قبل البجاة أنفسهم؛ فإنهم أخواله، ومعه عسكر من البجاة وأولاد كاهل وعرب جهينة. وقد ركب البحر من جزيرة سواكن في اتجاه اليمن. وهنا يؤكد أن هذا البحر لا يُسافر فيه بالليل لكثرة أحجاره. ويرسون وينزلون إلى البر؛ مما يؤكد ما أسلفناه عن ضعف الزاد المعرفي فيما يتّصل بالملاحة.

ويغيب ابن بطوطة عن ذكر هذه المنطقة إلى أن يزور غرب.... ويذكر بلاد النوبة مرةً أخرى، ويتحدث عن (دنقلة) على أنها أكبر بلادهم. تم في الجزء الرابع من رحلته، ص٢٧٦[٧].

هنا، وعند ذكره نهر النيجر غرب إفريقية السوداء، ينعته بالنهر الأعظم، بل يقول عنه: وهو النيل. وهذا الأمر دعانا في إحدى حواشينا على رحلة ابن بطوطة (ج٤، ص٣٩٥، تعليق ٤٧) إلى التنبيه على أن اسم النيل أطلق تساهلاً من لدن الجغرافيين العرب على بعض الأنهار الإفريقية[٨].

ويستمر ابن بطوطة في حديثه عنه (نيله) إلى أن يوصله



مبانٍ عتيقة تتحدى عوادي الزمن في سواكن

إلى مدينة (يُويفي): بضم الياء وواو وفاء مكسورة. قال: وهي من أكبر بلاد السودان، وسلطانها من أعظم سلاطينهم. قال: ثم ينحدر (النيل) منها؛ أي: يويفي، إلى بلاد النوبة، وهم على دين النصرانية، ثم إلى دنقلة، وهي أكبر بلادهم، وسلطانها يُدعى بابن كنز الدين، أسلم على أيام الملك الناصر. قال: ثم ينحدر (يعني النيل) إلى جنادل؛ يعني: شلالات، المترجمة عند الفرنسيين إلى CATARACTE. قال: وهي آخر عمالة السودان، وأول عمالة أسوان OSWANE من صعيد مصر.

تلك أحاديث ابن بطوطة عن (سواكن) التي لا أزال أنتظر من زميلنا الأستاذ الحيدرابي أن يزيدنا حديثاً عن هذه الجزيرة التي أحلم بالوصول إليها في يوم من الأيام[٩].

وقد كان في صدر من خصّص بعض القول لمملكة النوبة والسيدات النوبيات من المغاربة الشريف الإدريسي في نزهة المشتاق[١٠]، وكذا الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي[١١]، لكن ما زادني حرصاً على معرفة البجاة هو ما قرأته عن المستشرق السويسري المشار إليه بوركهارت Burckhardt السالف الذكر، الذي أبدع في مذكراته عن (سواكن)؛ تلك المذكرات التي ترجمها مشكوراً إلى اللغة العربية الأستاذ فيصل أديب أبو غوش، إصدار وزارة الثقافة للمملكة الأردنية الهاشمية عام ٢٠٠٥م (ج١، ص٤٨٩-٥٠٠)[١٢].

لقد أفاض الأستاذ بوركهارت في الحديث عن (سواكن) التي وصل إليها في ٢٦ يونيو عام ١٨١٤م قبل أن يبحر إلى الحجاز[١٣]، وقد قدم وصفاً دقيقاً لموقعها الذي أقيم على لسان ساحل الخليج. وقد وصف دار الأغا في مذكراته، وقال: إنها بناية كئيبة قذرة، إلا أنها تشرف على مناظر جميلة للميناء والجزر الصغيرة المقابلة.

ويتحدث عن الآبار التي تقع على بعد نصف ساعة من (سواكن)، ويؤكد أن أهل سواكن - كما هو الحال في جميع موانئ البحر الأحمر - هم خليط من أجناس شتّى، إلا أن العنصر الغالب في (سواكن) هم من أصل الحضارمة الذين قدموا إليها منذ قرن مضى.

قال: ويدعو الغرباء سكان سواكن بالحَدَارب، ولا بد أننا نذكر أن الرحالة المغربي ابن بطوطة ذكر أن ملك البجاة يُدعى الحَدْرَبي (بفتح الحاء المهملة، وإسكان الدال، وراء مفتوحة، وباء موحّدة، وياء) كما يقول ابن بطوطة (ج١، ص١١٠). هذه التسمية التي

يتحلّى بها الأستاذ الحيدرابي كاتب المقال على ما يبدو.

اقتراحي على زميلنا الأستاذ الحيدرابي أن يقوم بقراءة جديدة لما ورد عند ابن بطوطة، ولما ورد عند المقريزي حول البجاة، ثم لا بد أن يقرأ رحلة بوركهارت إلى بلاد النوبة؛ فهي جديرة بالقراءة، خصوصاً أن المعلومات جد مهمة من الناحية الإدارية والسياسية التي يذكرها بوركهارت؛ لأنه كان من الرحالة الذين استفادوا من مذكرات الرحالة بروس BRUCE الذي زار المنطقة خلال أعوام ١٧٦٨-١٧٧٣م[١٤].

إن الحاكم كان يُختار من أعلى العائلات الخمس الكبرى التي تسكن الجزيرة، ويُدعى باللغة البشارية (أورتيغا)، ومعناها: الشريف.

قال: وهو - أي الحاكم - تابع لباشا جدة في كلّ سلطاته... وعندما كانت جدة تحت حكم الشريف غالب، وكان هذا الشريف في أحرج ساعاته؛ مما يعانيه من (الضغط) الوهابي، أعلن أمير سواكن الاستقلال عن الشريف. لكن عندما احتلّ محمد علي باشا الحجاز أعلن أمير سواكن ولاءه لمحمد علي... وعلى أيّ حال، فهو تابع «لمن كان يحكم جدة» على ذلك العهد.

وتموّن جزيرة (سواكن) بلاد الحجاز بالقرب الجلدية حيث الماشية قليلة في الحجاز لندرة المراعي، وتُباع القربة في جدة بسعر الخروف في سواكن!!. ولا ننسى الأهمية العظيمة للقربة في البلاد الحارة كبلاد الحجاز!!. وهذه القرب السواكنية مشهورة بجودتها، وحسن دباغتها، ومتانة خياطتها.

وتصدّر سواكن - إلى جانب هذا - كمية كبيرة من الحصر المصنوعة من أوراق السدر، والطلب عليها كبير جداً في الحجاز... لأن جميع المساجد تُفرش بها... ولا يُغادر الحاج مكة من دون أن يتزوّد بعدد من هذه الحصر التي يتبرّك بها سجادة للصلاة.

وأغلبية السفن التي تتعامل مع (سواكن) هي لأهل سواكن وجدة، ولا يمضي أسبوع من دون أن تبحر إحدى السفن من سواكن إلى جدة أو العكس.

وفي أثناء إقامتي بسواكن - يقول بوركهارت - أبحرت إحدى السفن من سواكن إلى الحديدة، وأخرى إلى مَخَا التي تنتسب إليها القهوة اليمنية. وعلى ذكر القهوة اليمنية، التي أفاض بوركهارت في الحديث عنها على نحو ما فعله أبو سالم العياشي،





كان البحارة يسلكون طريقهم من جدة إلى اليمن على مقربة من الساحل، لكن حدث أن الرّبّان ربما اجتهد فابتعد عن الساحل ليجد نفسه على الضفة الأخرى حيث يلتقي البجاة مرة أخرى

يفيدنا البروفيسور فائدةً طريفةً ربما كان من المفيد أن نذكرها في هذه العجالة. يُلاحظ أن سكان المشرق عامةً، وسكان الحجاز ومصر خاصةً، اعتادوا أن يقدموا كؤوس القهوة مصحوبةً بكؤوس الماء... وهو يفسّر هنا السر في هذا بأن نكهة القهوة اليمنية عند المشارقة نكهة محببة مطلوبة، وأنه من أجل ذلك يقدمون الماء معها لكي يبتدئ به الشارب تطهيراً للفم واستعداداً للاستلذاذ بالقهوة... ونلاحظ أن المشارقة الأقحاح عندما يرون أن أحداً ما يبتدئ بالقهوة، ويثني بالماء، يعرفون في الحال أنه أجنبي عن البلاد، وأنه لا يعرف مدى متعة نكهة القهوة اليمنية!!.

ويذكر بوركهارت أن الحانات تكثر في سواكن؛ إذ تباع (البوظة)، وهي نوع من الخمر. ويتحدث مع هذا عن نزوات الحاكم الشاذة مع الغلمان، قال: وهم يتكلمون اللغة البشارية



سواكن لا تزال تجتذب الرحّالين وهواة المغامرة

كما يتكلمون العربية كأهل جدة. ويوجد بها قاضٍ، ومفتٍ، ومدرسة عامة، وثلاثة من العلماء.

حديث بوركهارت عن سواكن جدير بالقراءة كما قلنا، خصوصاً عندما يتحدث عن وضع التكارنة وأمير الحدارب؛ لذلك فإني أهيب بزميلي الأستاذ الحيدرابي أن يراجعه إلى جانب ما أشرتُ إليه عن العلاقات السياسية بين أرض النوبة ورجال الحكم. إن هذا الجانب من تاريخ المنطقة سيفتح لنا الطريق لاستكمال ما ورد عند القلقشندي في (صُبحه) مما يتّصل بالوثائق الدبلوماسية التي تمسّ دار الإسلام. وأنا على موعد مع الأستاذ الحيدرابي إذا ثنّى الله لي الوساد في (سواكن) التي استهوتني منذ قراءتي الأولى عنها في مختلف كتب التاريخ والرحلات عند الباحثين والباحثات.

الهوامش والمراجع

١- د. عبدالهادي التازي، اكتشاف غير مسبوق حول رحلة ابن بطوطة، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٤٠٢، عام ٢٠٠٤م، ص٤٩.

٢- المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: د. أمين فؤاد سيد، ج١، ص٥١٧، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٣- د. عبدالهادي التازي، دور رجال الاستشراق في كتابة المعجم: بوركهارت نموذجاً، بحث مقدم إلى مجمع اللغة العربية في دورة إبريل - مايو عام ٢٠٠٨م.

٤- رحلة ابن بطوطة، تقديم وتحقيق: د. عبدالهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية في خمسة أجزاء، سلسلة التراث، المجلد الثاني، ص١٥٨، رقم الإيداع القانوني: ١٩٩٧/٣٢١.

٥- تُراجع مادة بجاة BEDJA في الطبعة الثانية من الموسوعة الإسلامية باللغة الفرنسية، البحث بقلم الأستاذ ب. م. هولد P. M. HOLT. وأمال إبراهيم محمد، تاريخ الصراع الدولي حول البحر الأحمر، صنعاء، عام ١٩٩٣م.

٦- لا بد لنا أن نحاسب المستشرق بوركهارت على هفوته التي لا يجوز السكوت عنها عندما قرأ (أجزنا النيل) في مختصر البيلوني للرحلة على أنها (أجرنا الفيل). هذا مع تقديرنا لهذا الرجل الكبير الذي يرجع إليه الفضل في أنه مَن نبّه أوربا على وجود رحلة لابن بطوطة. مخطوطة البيلوني نسخة خاصة عندي، انظر: مقدمة تحقيقي لرحلة ابن بطوطة.

٧- ننبّه على أن أرقام الصفحات عندنا تخضع للرقم الدولي لسائر ترجمات الرحلة ابتداءً من النسخة التي ترجمها الفرنسيون إلى التي ترجمتها الإنجليز والإسبان، وغير ذلك.

٨- يُراجع الشريف الإدريسي في نزهة المشتاق، ج١، ص٣٢ وما بعدها، طبعة نابولي - إيطاليا.

٩- هذه رغبة ظلّت تراودني منذ أن سعدت بزيارة لصعيد مصر يناير عام ١٩٨٣م برفقة الأميرة الجليلة لالة مريم كريمة الملك الحسن الثاني، التي كانت تقوم بدراسة آثار مصر وصعيد مصر. رحلة ابن بطوطة، تحقيق: د. التازي، وج١، ص١١٠، و ج٢، ص١٦١، و ج٤، ص٣٩٦.

١٠- طبعة نابولي (إيطاليا)، ج١، ص٣٠، ٣١ وما تبعهما.

١١- وصف إفريقيا، ترجمة: حجي والأخضر، دار الغرب الإسلامي، طبعة ثانية، عام ١٩٨٣م، ج٢، ص١٧٩.

١٢- أغتنم هذه الفرصة لأتقدم بالشكر الجزيل إلى معالي الأستاذ ثابت الطاهر - المدير العام لمؤسسة عبدالحميد شومان - على نجدته الثمينة في الوقت المناسب.

١٣- نغتنم هذه الفرصة لننوّه بالعمل الجليل الذي قام به الزميلان الدكتوران: الهلالي، والشيخ، عندما قاما بتعريب رحلات بوركهارت في شبه جزيرة العرب، طبعة مؤسسة الرسالة، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. هذا إضافةً إلى عمل أستاذنا الراحل العلامة حمد الجاسر - رحمه الله - في تأليفه (رحالة غربيون إلى بلادنا). إضافةً إلى عمل الأستاذ هتاف عبدالله، الذي قام عام ٢٠٠٥م بتعريب رحلات بوركهارت إلى شبه الجزيرة، بيروت (الانتشار العربي).

١٤- بريس جيمس (توفي سنة ٧٩٤هـ) أخذ يتسلّى بالرحلة في أعقاب وفاة زوجته، ومن هنا أخذ يبحث عن منابع النيل، ووصل إلى البحر الأزرق، وهو صاحب كتاب Travels to discover the source of the Nile.

حوار

د. عبدالرحمن الحاج صالح:

المعلّمون أضروا الفصحى

حوار: حسين حسن حسين - هيئة التحرير

الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح، الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والأدب، أحد الذين أثروا مجلة الفيصل بكتاباتهم في إطار دأبه في خدمة اللغة العربية، وإسهامه بكل الوسائل من أجل الإبقاء على صفاء هذه اللغة التي شرّفها الله سبحانه وتعالى بأن جعلها لغة القرآن الكريم. ويتميز الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح، على سعة علمه بعلوم العربية قديمها وحديثها، ولا سيما اللسانيات الحديثة، واعتزازه بها، بالمرونة في التعامل مع قضايا اللغة، والانفتاح على الثقافة الغربية؛ مما أتاح له الحضور في المشهد الثقافي بوصفه أحد الأقلّاء الذين جمعوا علوم اللغة قديمها وحديثها. وهذا الحوار محاولة لملامسة بعض هموم اللغة من خلال أحد سدنتها المخلصين.



- ما إحساسكم عند إعلان فوزكم بجائزة الملك فيصل العالمية؟

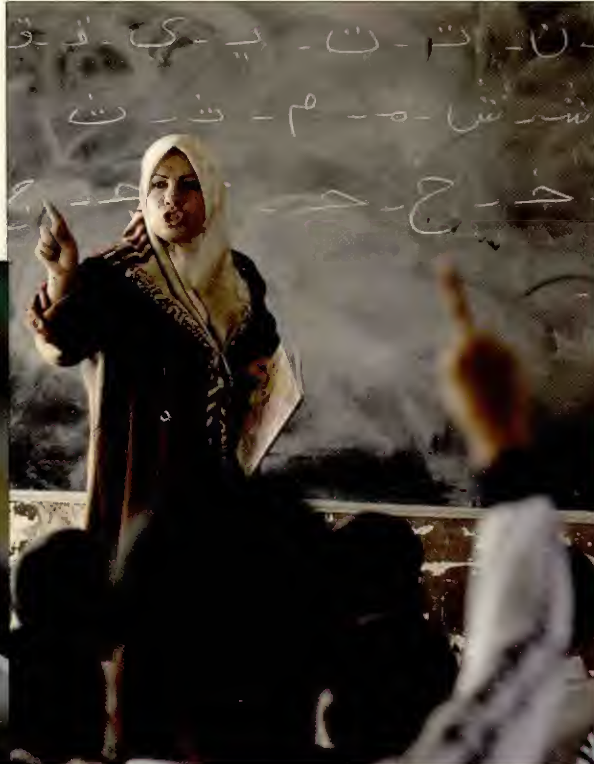
- إحساسي عندما أُخبرت بفوزي بجائزة الملك فيصل العالمية هو بالطبع السرور والابتهاج، والشعور بصفة خاصة بأن الجهود المبذولة منذ أكثر من خمسين عاماً لم تذهب أدراج الرياح؛ إذ قد وُجد من اعترف بها، وبقيمة ما أتت به من ثمار، ومنهم العلماء الذين اختاروني لنيل هذه الجائزة.

- كيف تنظرون إلى دور الجوائز العلمية والفكرية في تحريك الركود الثقافي العربي؟

- دور الجوائز عظيم؛ لأنها تتوّج الأعمال العلمية أو الفنية ذات القيمة وتكافئها، وهي بذلك تكون حافزاً قوياً إلى الإبداع.

- أراكم ربطتم في محاضرتكم القيمة التي نظّمها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بين النحو والرياضيات، فهل من توضيح لهذا الارتباط بصورة أعمق؟

- لم أربط النحو بالرياضيات، إنما تفطّنت ككثير من الباحثين إلى أن التراكيب النحوية كتراكيب؛ أي: كأبنية وصيغ، جوهرها رياضي، وتخضع لمنطق الرياضيات، وإنما الذي تفطّنت إليه بصفة خاصة هو ماهية البنى الرياضية التي تختصّ بها اللغة. والسابق إلى هذا هو الخليل بن أحمد الفراهيدي النحوي العربي العبقري؛ فقد عرف العلماء أنه أول من اشتغل بما يُسمَّى في الغرب بالـ Factorial (في الشرق يسمى هذا القسم من الرياضيات: التباديل والتوافيق)، وتسمى عند النحاة القدامى (بعد سيبويه) بـ(قسمة التراكيب). وقد تناولنا ذلك بالدراسة المفصلة في عدد مما حرّرناه، خصوصاً في كتابي: (منطق العرب في علوم اللسان)، و(النظرية الخليلية الحديثة)، وهيهات أن يكون الخليل وتلميذه



طرائق تعليم اللغة هدفها إكساب المهارة في التعبير والفهم مشافهةً وكتابةً



النظرية الخليلية سُمّيت حديثة لأنها قراءة جديدة لكتاب سيبويه وما تركه الخليل، ومنهجها الامتناع البات عن إسقاط مفاهيم المتأخرين، والاعتماد على طريقة دقيقة لاستنباط معاني النصوص

سيبويه قد اكتفيا بذلك؛ فقد تنبّها إلى أن القياس الخاص باللغة هو التكافؤ في البنية؛ فهذا يُسمّى (إزومُرفيزم) في الرياضيات الحديثة، وأما النظائر فهي العناصر المتكافئة بهذا المعنى، والباب هو مجموعة رياضية (والمجموعة من النظائر غالباً)؛ لأنه قد يخلو من أيّ عنصر في الاستعمال؛ مثل: فِعُل، وقد يكون فيه عنصر واحد؛ مثل: فِعِل، وغير ذلك.

وقد تجاوز الخليل وسيبويه البنوية الغربية الحديثة في قدرة نظريتهما على تناول ظواهر اللغة بكيفية دقيقة وشاملة؛ بسبب شموليتها (راجع في ذلك كتابنا المشار إليه، وكتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، طبعة الجزائر).

- ما الجديد في النظرية الخليلية الحديثة؟

- سبق أن ذكرت أعمال الخليل من جانب التحليل الرياضي. والكلام في ذلك يحتاج إلى مكان أوسع من مقالة لاتساع هذا الموضوع. وألفت نظر القارئ الكريم إلى أن النظرية الخليلية سُمّيت حديثة لأنها قراءة جديدة لكتاب سيبويه وما تركه الخليل؛ فهي تلجأ إلى منهج جديد لذلك، ولهذا المنهج أصول، أهمها هو الامتناع البات عن إسقاط مفاهيم المتأخرين من النحاة أو اللسانيين من المحدثين على أقوالهما، والثاني هو الاعتماد أساساً على طريقة دقيقة جداً لاستنباط معاني النصوص؛ أي ما قصده بالفعل الخليل وسيبويه، وهي مقايسة دلالية بين السياقات (انظر مثالاً لذلك في مقدمة كتابنا: السماع اللغوي العلمي العربي).

وأما ما جدّ من جديد بالنسبة إلى النظرية، فينحصر في توضيح بعض النقاط فيها وفي تطبيقاتها المختلفة؛ مثل: محاولة استثمارها في تعليم العربية (ولابد من التمييز هنا بين النظرية واستغلال بعض جوانبها في التعليم؛ فهما شيئان مختلفان تماماً؛ فالنظري لا يُعلَّم كما هو لإكساب مهارة معينة). ومن ذلك أيضاً محاولة فريق من الباحثين في هندسة اللغة وفي اللسانيات الخليلية اختبار هذه النظرية باستعمالها في العلاج الآلي للنصوص. وهذا يحتاج إلى إعادة النظر في طريقة الصياغة الحالية للنظريات اللغوية؛ بقصد علاجها الحاسوبي. وهذا عمل طويل النَّفَس، لابد أن يشترك فيه عدد كافٍ من العلماء في هذا الميدان.

- تتحدثون عن عدم تحرّج العلماء المعاصرين من وضع النظريات من دون تعمّق، هل لديكم أمثلة واقعية؟

- إن النظريات اللسانية التي ظهرت في عصرنا هذا كانت وصفية محضة في بدايتها؛ أي: يحاول أصحابها أن يصفوا ظواهر اللغة والتخاطب كما هي من دون أيّ اعتداد بالمعيار اللغوي، مع أن الناطقين لا يمكنهم أن ينطقوا إلا بالمتواضع عليه في اللغة، وهذه أيضاً ظاهرة، وانقسموا إلى: وظيفيين (الجدد لا الوظيفيين المنتمين إلى حلقة براغ القديمة)، وبراكماتيكيين، بعد أن كان الأمريكيون منهم من أصحاب مذهب الدلالة التوليدية (في السبعينيات وما بعدها).

وفي هذا الاختلاف فوائد؛ منها: تنوّع البحوث، وتنوع الميادين. إلا أن الجانب السلبي في ذلك هو حصر كل واحد من المذاهب كل اللسانيات في مذهبه؛ أي: الجانب الضيق الذي اختاره. فجاءت نزعة أخرى تردّ على هذه المبالغة، فعدّت اللغة جهازاً له ضوابط تضبط استعماله، وأراد صاحبها أن يصوغها صياغة رياضية، وهو ما يُسمّى بالنحو التوليدي والتحويلي، وكان على صواب، إلا أنه ركّز تحليله في الجانب التركيبي للغة؛ ولهذا لجأ إلى باب الرياضيات المناسب لذلك، ووُفّق في هذا الجانب، غير أنه لم يتطرق إلى الجانب الخطابي؛ أي: جانب الاستعمال الفعلي للغة (في الحديث والمخاطبات). فيردّ الفعل من جاء بعده، وهم أيضاً بالغوا في حصر كل جهودهم في الجانب الخطابي: الطرف الآخر (أي البراكماتيكي في اصطلاحهم). وأُولع الجيل الجديد بهذا الميدان، واستهتروا به حتى صار مثل المودة. وهذا يخصّ الباحثين الغربيين، أما الباحثون العرب فإذا استثنينا بعض اللغويين منهم فإن كثيراً منهم في أول الأمر اكتفوا بنقل مفاهيم

الإنتاج العلمي للدكتور عبدالرحمن الحاج صالح

- له واحد وسبعون بحثاً ودراسة نُشرت في مختلف المجلات العلمية المتخصصة (بالعربية والفرنسية والإنجليزية) حتى عام ٢٠٠٢م.
- معجم علوم اللسان (بالمشاركة)، مكتب تنسيق التعريب التابع للألكسو، عام ١٩٩٢م.
- علم اللسان العربي وعلم اللسان العام (مجلدان)، الجزائر.
- مقالتا (لغة) و(معارف) في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الجديدة، ليدن.
- Arabic Linguistics and Phonetics, in Applied Arabic Linguistics and Signal Processing, New-York, 1987.
- بحوث ودراسات في علوم اللسان، في جزأين، (بالعربية والفرنسية والإنجليزية)، الجزائر.
- أربع مقالات: الخليل بن أحمد، والأخفش، وابن السراج، والسهيلي، في موسوعة أعلام العرب (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).
- عُيّن رئيساً للمجمع الجزائري للغة العربية في عام ٢٠٠٠م؛ تقديراً لجهوده العلمية.

نشاطه المجمعي

منذ أن عُيّن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عضواً في المجمع وهو يشارك في مؤتمرات المجمع بالأبحاث وإلقاء المحاضرات، ومنها:
- أصول تصحيح القراءة عند مؤلّفي كتب القراءات وعلوم القرآن قبل القرن الرابع الهجري، مجلة المجمع، ج٩٠.
- الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه، مجلة المجمع، ج٩٢.
- تأثير الإعلام المسموع في اللغة العربية وكيفية استثماره لصالح العربية.

اللسانيات إلى القراء العرب والباحثين منهم، مع الميل في الأكثر إلى اعتماد ما سمعوه من شيوخهم في أوربا من دون تمحيص أو الالتفات إلى أقوال غيرهم من العلماء.

أما في السنوات الأخيرة، فكثر التأليف في التعريف بعلم الدلالة خاصة، وما يسمّونه بـ(التداول) و(علم النص)، وتركوا ما يرجع إلى التراكيب، متّبعين في ذلك ما هو رائج في بلاد الغرب. وقلّ من يحاول أن يتعمق في هذه الميادين، ويجمع أشتاتها (ويوجد - والحمد لله - من حاول ذلك).

أما الالتفات إلى التراث اللغوي، والتعمق فيه من دون الخلط بين مفاهيمه ومفاهيم اللسانيات إلا بدليل مقنع (وهذه المطابقة لا تكاد تحصل)، فلا يحاول ذلك إلا القليل، وأكثر ما يحصل من ذلك هو محاولة العثور على المفاهيم العلمية الغربية عند العرب بإسقاطها عليها، ويحصل ذلك (إذا استثنينا من ذلك كما قلنا بعض الأعمال الأصيلة) في الأغلب من دون التعمّق المطلوب والشمولية اللازمة بالنسبة إلى كل المصادر العربية وكل ما وجّه من الانتقادات إلى المفهوم الغربي في الغرب خاصة.

وفي مقابل ذلك، نجد من يقول بعدم جدوى دراسة أقوال القدامى من اللغويين والنحاة والبلاغيين العرب، ومن يتهمهم بكثير من الأخطاء في منهجية البحث وطرائق التحليل، وكلما عثروا مثلاً على مفهوم هو غريب تماماً عن اللسانيات؛ مثل: الحركة والسكون، والحرف المتحرك أو الساكن، وحرف المدّ، فإنهم يعدّون هذه المفاهيم تصوراً خاطئاً؛ لعدم وجودها في النظرية الصوتية الغربية الحالية. (انظر للإجابة عن ذلك كتابنا: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الثاني).

- **يرى بعض النقاد أنكم تتحاملون على الدكتور طه حسين، هل من ردّ وتوضيح لموقفكم منه؟**

- فيما يخصّ الدكتور طه حسين فهو عالم نعتزّ به، إلا أن هذا لا يمنعنا من أن نأخذ عليه تبنّيه آراء المستشرقين، مع التساهل في قبول كثير منها، خصوصاً فيما يخصّ ميداننا؛ كجعله البلاغة العربية منقولة من ريطوريقا أرسطو، وقد بيّن العلماء بعده عدم صحة هذا الادّعاء.

المدرسة ووسائل الإعلام مصدر اشعاع للغة



- تهزّون بآرائكم الثقة في بعض ما يراه غيركم من الثوابت المتداولة؛ كحديثكم عن ألف ليلة وليلة، ألا تخشى الانتقادات؟

- فيما يخصّ الثقة التي وضعها كثير من المثقفين في بعض المؤلفات العربية: كالأغاني مثلاً، فإن المسألة لا تنحصر في الثقة المجردة: إذ للثقة فيما يقوله مؤلف من المؤلفين شروط، خصوصاً إذا كان من الرواة، وللرواية الصحيحة أصول. ويجب هنا ألاّ نخلط بين القصّاصين القدماء والمؤرخين وبين ما يسمونه بـ(الصحف)، وهي ما راج في القديم من الصحف المملوءة بالخرافات والشعر الموضوع، وبين ما كان يرويه علماء اللغة الجامعون للشعر وكلام العرب عامة. والتأليف الذي اتّهم صاحبه بالكذب الفظيع - وسبقني إلى ذلك

تجاوز الخليل وسيبويه البنوية الغربية الحديثة في قدرة نظريتهما على تناول ظواهر اللغة بكيفية دقيقة وشاملة

العلماء منذ قرون - هو كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني؛ فهو كتاب حافل بالروايات عن الأدباء والعلماء، بل عن الشخصيات الإسلامية، إلا أن أكثر ما يرويه لا أساس له من الصحة، بل هو يخلط بين الأشخاص والرواة والعصور؛ لأنه يسلك مسلك القصاصين غير المتحرّجين، وهو كتاب أُلّف كله على أساس ما كان يرويه هؤلاء، وفيه ما حصل وما لم يحصل، ويخلط ذلك بشيء قرأه في كتب العلماء، مع الافتراء الشامل لأكثر ما يأتي به مما ينفرد به هو وحده.

وإعجاب الناس بما جاء فيه، وانبهارهم به أدباً وشعراً وقصصاً، هو واقع لا محالة؛ لأن الرجل أديب وفنان. ومع ذلك، فلا يجوز أن يستشهد به؛ لأنه ليس كتاب تاريخ، بل ألّفه للتسلية. وإذا قارنا ما حكاه من الأحداث بما رواه المؤرخون أهل الاختصاص، وما رواه العلماء الآخرون، لدهشنا بما فيه من كثرة الكذب، وكثرة ما ينسبه إلى العلماء مما لم يقولوه قطّ (والموشح للمرزباني هو كذلك). كما يجب أن يُتحفَّظ فيما يخصّ صحة الرواية من كل ما ينتمي إلى كتب الطبقات إلا الفهرست؛ لأنها تحتوي على ما هو (طريف مستطرف).

- تعترضون على مصطلح (اللغة الأم)، وترون أن يكون البديل (لغة المنشأ)، ما الفارق؟ وما صلة المصطلح الأول بالاستعمار؟

- (لغة الأم) هي ترجمة لعبارة أوربية (Mather Tongue أو Langue maternelle)، مرادهم منها: اللغة التي يكتسبها الإنسان من بيئته الأولى. والتسمية فيها تغليب؛ لأن الأم ليست هي الوحيدة التي يسمع منها الطفل، بل يسمع من جميع من يحيط به، خصوصاً إخوته ورفاقه خارج المنزل.

وعندما كان يقول المغرض من اللغويين الغربيين، والمستعمر عامةً، لمن يعلّم العربية: (لماذا لا تعلّمهم لغة الأم؟)، فهذه العربية لغة أخرى؛ فهو يقصد العامية؛ لأن الفصحى لا يتعلّمها الآن الطفل من محيطه الأول (فهي لغة ثقافة لا يتعلّمها الطفل إلا في المدرسة).

- كيف يمكن حلّ المصطلحات الحديثة وإشكالية التعريب في ظلّ وجود اجتهادات في كل دولة عربية على حدة؟ وما دور مجامع اللغة العربية؟

- أما المصطلحات، فإننا ندعو منذ زمن أن يلتفت الباحث والواضع لها

عندما أُخبرت بفوزي بجائزة الملك فيصل العالمية شعرتُ بأن الجهود المبذولة منذ أكثر من خمسين عاماً لم تذهب أدراج الرياح؛ إذ وجدت من اعترف بها وبقيمة ثمارها

د. عبدالرحمن الحاج صالح في محاضرته بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

إلى الاستعمال الحقيقي للغة – المؤلفات العلمية العربية ومحاضرات الأساتذة وغير ذلك – لحصر ما هو مستعمل بالفعل في كل بلد عربي، مع النظر فيما وضعته المجامع للمقارنة. ويمكن بذلك توحيد ما هو موجود في الاستعمال بطريقة علمية، وعلى مقاييس قد سبق أن اتفق عليها: كمقياس الشيوع للفصيح منها، وكثرته، ومقاييس أخرى. ولم يفكر أحد من المجامع في أن يقوم بجمع مثل هذه المدونة.

أما ما لم يُوضع له مصطلح بعدُ، أو ما سوف يُوضع له مما جدّ من المفاهيم العلمية، فإن الطريقة المتبعة حالياً هي انفراد كل مجمع بوضع ما يراه مناسباً على مقاييس تخصّه، خصوصاً في الحقبة السابقة. وقد أنشئ اتحاد للمجامع مهمته الأولى هي توحيد المصطلحات، وهذا جيد جداً؛ لأن المجمع التابع لبلد واحد لا يحقّ له أن يُقرّ أيّ مصطلح يضعه أعضاؤه إلا في إطار الاتحاد الذي أنشئ لهذا الهدف، إلا أن هذا الاتحاد لم يحاول منذ نشأته عام ١٩٧٣م أن يقوم بما هو من مهامه إلى الآن، وهذا غريب جداً. وأتمنى أن يبادر الاتحاد إلى سدّ هذه الثغرة بالتعاون مع سائر المجامع وسائر المؤسسات العلمية، والتعاون مع منظمة الأليكسو (انظر في ذلك كتابنا: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية).

- ألا يمكن تبسيط النحو العربي وتيسيره للدارسين؟

– إن التبسيط الذي يجب أن يقصده المهتمون بذلك هو تبسيط تعليم النحو؛ أي: الطريقة الخاصة بتعليم اللغة نحواً وتصريفاً وبلاغةً ومعجماً؛ لأن كل الطرائق المستعملة اليوم في تعليم اللغات – لكل فئات المتعلمين – هدفها هو اكتساب المهارة في التعبير والفهم مشافهةً وكتابةً، وليس هو تعليم علم النحو كعلم. ومع ذلك، فدوره في ذلك أساسي كنظرية تُبنى عليها طريقة تعليم اللغة، إلا أنه ينبغي في المراحل الأولى أن يكون تعليمه ضمنياً؛ أي: من خلال النصوص، ويجب أن تُعطى كل القواعد الأساسية

مسابقة العدد

أسماء الفائزين



العدد المزدوج ٤٠١-٤٠٢

ذو القعدة / ذو الحجة ١٤٣٠هـ

الفائز الأول: أحمد محمد عبد المجيد - شبرا خيت - مصر.

الفائز الثاني: حسناء محمد النصر - حلب - سورية.

الفائز الثالث: محمد عبدالله داود حسين - جدة - السعودية.

الفائز الرابع: محمد عبدالهادي محمود - الحديدة - اليمن.

الفائز الخامس: سلطان محمود عارف الشباب - إربد - الأردن.

الفائز السادس: محمد التجكاني - وجدة - المغرب.

الفائز السابع: غسان نور الدين فرحان - أبو ظبي - الإمارات.

الفائز الثامن: شخاب سعد سعود - بسكرة - الجزائر.

حل المسابقة



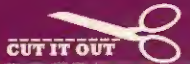
العدد المزدوج ٤٠١-٤٠٢

ذو القعدة / ذو الحجة ١٤٣٠هـ

١- قائل البيت هو كعب بن زهير بن أبي سلمى.

٢- يقصد النبي صلى الله عليه وسلم بالأيام العشر في قوله: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر»: الأيام الأولى من ذي الحجة.

٣- معنى قول العرب «رماه بثالثة الأثافي»: رماه بالشر كله.



أسئلة مسابقة



العدد المزدوج ٤٠٧-٤٠٨

الجماديان ١٤٣١هـ

(١) ما هي قبة الصخرة؟

....

(٢) ما المعدن الوحيد الذي يُوجد في الحالة السائلة؟

....

(٣) ما هو علم (الفينولوجيا)؟

....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة ثالثة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل.

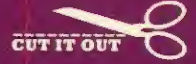
فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً. وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)

الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.
- ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ ـ ٠٥٥٥٠٥ ـ ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني، شارع العليا العام ـ الرياض. آيبان: ٥٠٠١ ٥٥٥٠ ٠٠٤٠ ٠٠٠٠ ٤٥٠٠ ASV٩
- يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية ـ هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

بالتدرّج. أما بعد ذلك، فالتعليم الصريح للنحو لا يُبدأ به إلا بعد استئناس المتعلم كل القواعد الأساسية بقدرته المكتسبة على تطبيقها بكيفية عفوية.

أما محتوى النحو كمفاهيم وككيفية انتظامه — كما ورثناه من النحاة العرب - فهذا لا يقدر على معالجته؛ أي: إعادة النظر فيه، إلا علماء النحو الملمّون لعلوم اللسان القديمة والحديثة بطرائق علمية يعرفها أهل الاختصاص، وهذا ضروري؛ لأن كل شيء يجب أن يتطور ويترقى، ولكن بشروط صارمة، منها هذا الذي سبق أن قلناه عن إجراء التجارب، واختبار كل نظرية على محكّ تعليم اللغة والعلاج الحاسوبي. وأكبر خطأ يُرتكب في ذلك - في نظري - هو الخلط بين تعليم ما هو نظري يرجع إلى المفاهيم العلمية، وهذا يخصّ طلاب العلوم اللسانية، ومنها نظرية النحو العربي من جهة، وبين تعليم المهارات أو إكسابها، ولا دخل للنظري فيه كدرس، إلا أنه يجب أن يكون القوام اللاشعوري لهذه العملية التعليمية لا غير.

ونختم هذا بقولنا: الذي يجب تبسيطه للمزيد من النجاعة في هذه العملية ينحصر في استثمار كل ما هو نظري يخصّ البحث العلمي للغة؛ كالتحديدات، وتمثيل البنى، والتعليل (ولا يحذف أبداً من البحث كما يريده بعض الناس، بل يجتهد لترقيته)، ويختار من التمثيل للبنى خاصةً ما يمكن أن يكون أساساً لتدرّج أنواع التراكيب؛ فاستغلال النظري المفيد شيء، وإقامة هذا النظري بالبحث هو شيء آخر.

أما في المراحل التالية، فالذي يجب تبسيطه في تعليم النحو الصريح هو - في نظري - تقديم القواعد لا بالنص الذي وضعه المتأخرون، بل على شكل أبنية ترسم برسوم بيانية ترافقها توضيحات، وهذا لا يُكسب الملكة اللغوية، إنما يُدعم بفهم آليات اللغة ما سبق من اكتساب الملكة (انظر في ذلك كتابنا: بحوث ودراسات في علوم اللسان).

- ما تأثير وسائل الاتصال الحديثة سلباً وإيجاباً في اللغة؟

- إن تأثير وسائل الإعلام - التلفزة خاصةً - عميق وشامل لجميع فئات المجتمع في الأفكار والميول والمذاهب، وفي اللغة خاصة. وما يحصل من ذلك من انتشار اللحن والضعف في العبارات، وتغلّب الألفاظ الأجنبية، هو ضرر عظيم بالنسبة إلى العربية. والسبب في ذلك هو عدم اكتراث الشعب والسلطات بما يخصّ اللغة، فيقع بذلك نوع من الفوضى وعدم الانضباط اللغوي، مع أن اللغة هي قوام الهوية بالنسبة إلى أيّ أمة في العالم.

وعظمة هذا التأثير في كل أفراد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج ينبغي أن يُستغلّ لتفادي هذا الجانب المسيء للغة، أولاً بمطالبة المذيعين والمنشّطين أن يكونوا أولاً من الحائزين على شهادة جامعية في اللغة العربية، وأن يُختار منهم الفصحاء البلغاء. أما من لم يحظَ بذلك منهم فتتولى الإدارة ترقيتهم على نفقتها في أقرب الآجال (وينطبق هذا على جميع الصحفيين).

وتستغل التلفزة بصفة خاصة للتعريف بالمصطلحات العلمية (لكل ميدان علمي حصة)، وألفاظ الحضارة الحديثة الجديدة العربية، وذلك بطريقة تجلب الانتباه بإمتاع الناظرين وتسليتهم، لا بقراءة المصطلحات عليهم.

ونلفت نظر القارئ الكريم إلى أن هناك بؤرتين اثنتين هما مصدر لكل إشعاع بالنسبة إلى اللغة وانتشارها انتشاراً واسعاً جداً، هما: المدرسة، ووسائل الإعلام، فلنجعلهما الوسيلتين الأساسيتين لنشر عربية سليمة ومتجددة بحسب ما يطرأ من جديد من المفاهيم (راجع في ذلك بحثنا: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج١).

- هل يبدو التأليف في اللسانيات سهلاً في الفرنسية أو أنكم استطعتم تطويع العربية لاستيعاب هذا العلم بمنهجه الغربي؟

- التأليف في اللسانيات ككلّ تأليف بالعربية يخصّ الجديد من النشاط العلمي أو التقني في عصرنا هذا؛ فالصعوبة فيه هو ما

النظريات اللسانية الحديثة كانت وصفية محضة في بدايتها؛ أي: يحاول أصحابها أن يصفوا ظواهر اللغة والتخاطب كما هي من دون أي اعتداد بالمعيار اللغوي

شيء من سيرة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

- وُلد في مدينة وهران بالجزائر يوم ٨ يوليو عام ١٩٢٧م، وهو من عائلة معروفة. نزح أسلافها من قلعة بني راشد المشهورة إلى وهران في بداية القرن التاسع عشر.
- درس في المدارس الحكومية، وفي الوقت نفسه كان يتلقّى دروساً بالعربية مساءً في إحدى المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء الجزائريين، والتحق وهو ابن خمسة عشر عاماً بحزب الشعب الجزائري.
- رحل عام ١٩٤٧م، بعد حملة واسعة حملتها الشرطة الفرنسية على المناضلين والوطنيين، إلى مصر، والتحق طالباً بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر.
- لم يستطع أن يكمل دراسته في مصر، فالتحق بجامعة بوردو BORDEAUX بفرنسا بعد أن أسهم في ثورة أول نوفمبر، ثم نزل بالمملكة المغربية والتحق بثانوية (مولاي يوسف) في الرباط أستاذاً للغة العربية، واغتنم الفرصة لمواصلة دراسة الرياضيات في كلية العلوم.
- قرّبه هذا التخصّص أكثر من اللغوي العبقري الخليل بن أحمد. وبعد حصوله على التبريز في اللغة العربية عمل في تدريس اللسانيات في كلية الآداب بالرباط باللغة العربية في عام ١٩٦٠م، وهي المرة الأولى في المغرب العربي.
- عمل أستاذاً وباحثاً في جامعة الجزائر بعد الاستقلال، وعُيّن عام ١٩٦٤م رئيساً لقسم اللغة العربية وقسم اللسانيات، ثم انتخب عميداً لكلية الآداب، وبقي على رأس هذه الكلية حتى عام ١٩٦٨م.
- تفرّغ في ذلك الوقت للدراسة والبحث في علوم اللسان، فاستطاع بمساعدة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي - وزير التربية آنذاك - أن ينشئ معهداً كبيراً للعلوم اللسانية والصوتية، وجهّزه بأحدث الأجهزة، وأسّس أيضاً مجلة اللسانيات المشهورة.
- واصل الأستاذ في هذا المعهد بحوثه بفضل المختبرات المتطورة الموجودة فيه، وأخرج تلك النظرية التي لُقّبت في الخارج بـ(النظرية الخليلية الحديثة).
- قرّر مسؤولو التعليم العالي أن يعيدوا تنظيم الجامعات، فاغتنم بعض الأشخاص هذه الفرصة لإلغاء معهد العلوم اللسانية عام ١٩٨٤م.
- أنشئ عام ١٩٩١م مركز البحوث العلمية في هذا الميدان، فعمل فيه الأستاذ ورفاقه.
- عُيّن عضواً في مجمع دمشق عام ١٩٧٨م، ومجمع بغداد عام ١٩٨٠م، ومجمع عمّان عام ١٩٨٤م، وهو عضو في عدة مجالس علمية دولية، وعضو أيضاً في لجنة تحرير المجلة الألمانية التي تصدر في برلين بعنوان: Z. fuir Phonetik Sprachwissenfaft und Kummunikation forshung.
- عُيّن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عام ١٩٨٨م عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم انتخب عضواً عاملاً به عام ٢٠٠٣م، في المكان الذي خلا بوفاة الدكتور إبراهيم السامرائي.

يطرأ كل عام، بل في كل شهر، من المفاهيم الجديدة التي تتعلق بميدان علمي معين. والمجامع وحدها بعملها التقليدي – الجيد في زمانه – لا تستطيع أن تساير ركب الحضارة العلمية الحديثة في إنتاجه السريع المتواصل للمفاهيم والمصطلحات؛ ولهذا اقترحنا سابقاً مع كثير من الإخوان أن يتم التعاون في ذلك بين جميع المجامع واتحاد المجامع والأليكسو من جهة وجميع المؤسسات العلمية العربية (من خلال الأساتذة والباحثين) من جهة أخرى بجميع الوسائل، ولا يُكتفى في ذلك بالمراسلة والمؤتمرات.

وفيما يخصّ اللسانيات، فإن علماءنا القدامى خاضوا في موضوعاتها المختلفة، ولم يطلع أكثر اللسانيين الغربيين على هذه الدراسات إلا بعض الشبان من المستعربين، وهو حديث جداً. وقد حاولنا أن نبيّن أن في هذه الثروة العظيمة من المفاهيم العلمية ما يستحق أن يعدّ مساوياً في القيمة ما جاء في اللسانيات الحديثة، وفيه ما يفوقه من وجهة نظر أخرى. فالتأليف في اللسانيات يجب فيما يخصّ استعمال المصطلحات، ومن ثَمّ التعامل مع المفاهيم بأن يحافظ المؤلف على المفهوم الخاص بالنظريات الغربية،

ويخصّه بمصطلح مناسب إن لم يوجد. كما ينبغي أن ينبّه على الفوارق القائمة بين التصور الغربي والتصور العربي إذا كان الاسم واحداً. وهذا الأمر معناه أن اللساني العربي الذي يهتم بما أنتجه العلماء العرب المبدعون لا يمكن أن يتجاهل هذا التراث، كما لا يسعه أن يسكت عن المفاهيم وطرائق التحليل التي وضعها العلماء العرب، خصوصاً الخليل وشيوخه وأتباعه وأتباع أتباعه حتى القرن الخامس.

وقد يتجاهل بعضهم اللسانيات الحديثة بكل ما جاء بها أصحابها منذ دي سوسور، وهو كتجاهل العلوم اللسانية العربية الأصيلة تماماً. وكان بعض المثقفين عندنا لا يلتفتون إلا إلى نظرية واحدة في اللسانيات، وهذا تقصير في نظرنا. وأهم شيء في ذلك هو المحافظة على المفهوم والمصطلح الدالّ عليه (باللغة الأجنبية واللغة العربية) من دون أيّ خلط بينه وبين أقرب مفهوم عربي إليه، مع النقد الموضوعي لكلا المفهومين، وألاّ يحصل أيّ حكم في القيمة العلمية إلا بدليل عقلي أو تجريبي أو كليهما (راجع المعجم الموحّد للسانيات، الذي أسهمنا في تحريره، طبعة مكتب تنسيق التعريب، الطبعة الأولى).

- كيف ترى مسيرة التعريب في الجزائر في ظلّ شكوى بعض المهتمين من تعليق قرارات التعريب واقعياً؟

- سارت الجزائر في تعريب التعليم بصفة خاصة إلى ما وصلت إليه كل البلدان العربية، وتوقفت مثلها عند تعريب العلوم الدقيقة والتجريبية (وقد عُرّبت العلوم الإنسانية تعريباً سيئاً). وقد قلنا مراراً: ما الذي يمنع أن تكون العربية من جملة اللغات المستعملة في تعليم هذه العلوم والتكنولوجيا؛ إذ الخطر كل الخطر أن تستبدّ اللغة الأجنبية الواحدة بنقل العلوم، فتختفي أو تنزوي بهذا السبب العربية؛ فقد تُستصغر اللغات التي لا يُلجأ إليها في ذلك، فلا يطلبها الناس، وينفر منها أصحابها أنفسهم.

تبسيط النحو المقصود هو تبسيط تعليمه؛ أي: الطريقة الخاصة بتعليم اللغة نحواً وتصريفاً وبلاغةً ومعجماً؛ فكل الطرائق المستعملة اليوم في تعليم اللغات لكل فئات المتعلمين هدفها هو اكتساب المهارة في التعبير والفهم مشافهةً وكتابةً

- لكم رأي إيجابي في اللهجات المحكيّة، في حين يراها كثيرون من المهدّدات للغة العربية الصافية، ما رؤيتكم في هذا الشأن؟

- ليس لي عن اللهجات إلا رأي موضوعي لا إيجابي ولا سلبي. أما اللهجات العربية فهي اللغات التي يتخاطب بها العرب في مقام الأنس، وليست أيّ واحدة منها لغة ثقافة (أي: لغة تنقل العلوم والمعرفة عامة، وليست لها من ثَمّ كتابة إلا استثنائياً). فهذا واقع لا يمكن أن ينكر، وكل لغة في الدنيا يكون لها كتابة فهي على مستويين: لغة التخاطب اليومي، وفيها بالضرورة اقتصاد في الأداء (اختزال، واختلاس، وحذف، وإدغام، وغير ذلك)، ولغة ثقافة تعلّم في المدارس، وتؤلّف بها الكتب، ويتخاطب بها في المقامات التي فيه احترام؛ كالخطب، والمحاضرات، ووسائل الإعلام غالباً. وقد تكون إحداهما قريبةً من الأخرى؛ مثل الفرنسية المستعملة في الشارع وفي البيوت، وسبب ذلك هو وجود نسبة مئوية قليلة جداً من الأميين في الشعب الفرنسي، أو من ضعيفي الثقافة.

أما العربية، فقد ابتعدت لغة التخاطب العفوي عن الفصحى أولاً بدخول مئات الآلاف من الأعاجم في الإسلام في شتى البلدان التي تعرّب سكانها في الأغلب، وتأثير هؤلاء في العربية عميق. ثم ابتعدت الفصحى من التخاطب اليومي بدورها بأن جعلها المعلمون غير صالحة للتخاطب العفوي: الإلحاح على بيان حركات الإعراب، بل مدّها، وعدم الوقف (في التعليم)، والتشدّق عامةً، وعدم قبول أيّ تخفيف، مع أن للفصحى مستوى تعبيرياً عفوياً يشبه أداء العامية وصفه سيبويه، وقُرئ به القرآن (وهو الحَدْر في مقابل الترتيل). فصارت الفصحى لا يُعلّم فيها إلا مستوى واحد، هو المرتّل منه. وكل ما هو اختزال واختلاس للحركات يراه المعلمون - منذ عهد قديم جداً - لحناً. والذي نرجوه هو أن يُعاد النظر في ذلك، ويرجع إلى الفصحى الأداء المستخف الذي يُجيزه العلماء والقرّاء (في المدرسة خاصة). (راجع مقالنا: العربية بين المشافهة والتحرير، في بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج١).

النقد الأدبي تناول الشعر السعودي في دورته الثالثة



رعى الدكتور عبدالعزيز بن محيي الدين خوجة - وزير الثقافة والإعلام - فعاليات (ملتقى النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية) في دورته الثالثة، الذي نظّمه نادي الرياض الأدبي الثقافي تحت عنوان: (الشعر السعودي في رؤى النقاد: مقاربات ومراجعات) خلال المدة ٢٧-٢٩ ربيع الآخر الماضي/ ١٢-١٤ إبريل. وشارك في الملتقى قرابة الثلاثين باحثاً من السعوديين والعرب من مختلف الجامعات السعودية بأوراق تتناول الكتب النقدية التي درست الشعر السعودي. وشهد حفل الافتتاح كلمةً لرئيس النادي د. عبدالله بن صالح الوشمي، تلتها كلمة الشخصية المكرّمة د. سعد بن عبدالرحمن البازعي، ثم كلمة المشاركين للدكتورة وفاء بنت إبراهيم السبيل، ثم فقرة تكريم البازعي، وتكريم مجموعة الشيخ إبراهيم الزويد، ثم كلمة راعي الحفل د. خوجة.

وقد شمل الملتقى في دورته الحالية ثمانية محاور نقدية، هي: النقاد السعوديون.. دراسات تحليلية لإنتاجهم النقدي، وأثر المناهج النقدية الحديثة في نقد الشعر السعودي، وأثر المدارس الأدبية في نقد الشعر السعودي، ومفهوم الشعر ووظيفته في رؤى نقّاد الشعر السعودي، والشعر السعودي في رؤى النقاد العرب، ونقد الشعر في إنتاج الروّاد، ونقد الشعر السعودي في الرسائل الجامعية، والمعارك والسجالات النقدية حول الشعر.

جائزة يونانية لـ«قادمون يا غزة»

فاز الفلم الوثائقي (قادمون يا غزة) بجائزة الجمهور في المهرجان الثاني عشر للأفلام الوثائقية في مدينة سالونيك شمال اليونان بأغلبية ٤٧٩٢ صوتاً من بين عشرات الأفلام الوثائقية التي روت موضوعات مختلفة. ويوثّق الفلم قصة ٤٤ ناشطاً من مختلف دول العالم حاولوا في عام ٢٠٠٨م فكّ الحصار رمزياً عن قطاع غزة، مستخدمين مركبي صيد متوسطي الحجم انطلقا من اليونان إلى غزة عبر قبرص. ويعرض الفلم تهديدات ومحاولات إعاقة وصول المركبين من قبل البحرية الإسرائيلية، ثم وصول الرحلة إلى مرفأ غزة بعد إصرار النشطاء وصمودهم، والاستقبال غير المسبوق الذي أقامه أهل القطاع لهم؛ إذ كانت أول رحلة بحرية خارجية ترسو في ميناء غزة منذ ٤١ عاماً.

ولحظة توزيع الجوائز كان عدد من نشطاء (غزة الحرة) يتابعون بتأثّر، بينما رفع طلاب عرب لافتة كتبوا عليها باليونانية: (مليون ونصف فلسطيني يعيشون في سجن بالغ الأمان).

وتمّ إنتاج الفلم لحساب قناة (الجزيرة)، وأشرفت عليه المخرجة روان الضامن، بينما قامت مجموعة من الصحفيين والمهتمين العرب بترجمته ودبلجته إلى اللغة العربية. وكان الفلم قد عُرض على قناة (الجزيرة) بمناسبة عام على المحاولة الناجحة.

ويصاحب الجائزة مبلغ مالي قدره عشرة آلاف يورو قرّر المسؤولون عن الفلم الوثائقي منحها مشروع إعادة إعمار غزة.

محافظ هامبورج افتتح معرض «السعودية تاريخ وحضارة»

افتتح السيد يورجن فارمكي روزي - رئيس المجلس الأعلى لولاية هامبورج ألتونا في شمال ألمانيا - في مقر محافظة هامبورج ألتونا في ٢٥ ربيع الآخر الماضي/ ١٠ إبريل معرض (السعودية تاريخ وحضارة)، الذي أقيم بالتعاون مع جامعة هامبورج ضمن فعاليات المهرجان الثقافي العربي الرابع لجامعة هامبورج، وهو يعدّ أول معرض فوتوغرافي يُقام عن السعودية داخل مقرّ محافظة هامبورج.

وشارك في المعرض المصوّرون حامد السليمان، وصلاح العلوان، وجلال الفريدي، إلى جانب الدكتور عبدالله الطريقي، ويونس السليمان، وعلي السويد، وعبدالله الحمدان، وعبدالله النصار، ومحمد البهلال، وسعد القاسم، وزياد المزيني، وخديجة الخليفة.

وقد رشّحت اللجنة الثقافية في وزارة الخارجية الألمانية في برلين المصور حامد السليمان لإقامة معرض فوتوغرافي عن السعودية في مقرّ وزارة الخارجية الألمانية في برلين؛ بسبب ما قدّمه من معارض عن بلاده السعودية داخل مقرّ جامعة هامبورج أسهمت في إعطاء صورة جميلة عن السعودية والشعب السعودي.

وقد اشتمل المعرض الفوتوغرافي على مشاركات مختلفة لعدد من المصوّرين العرب تمثّل صوراً للدول العربية المختلفة. وشملت فعاليات المهرجان العربي عدداً من الأنشطة الثقافية المختلفة. وحظي المهرجان بإقبال كبير من الجمهور الألماني والجالية العربية والإسلامية في هامبورج، واستمر حتى نهاية شهر إبريل.



معرض رأس الخيمة للكتاب ٢٠١٠م

افتتح الشيخ محمد بن سعود القاسمي - نجل ولي عهد ونائب حاكم إمارة رأس الخيمة - يوم ٢٧ ربيع الآخر الماضي/ ١١ إبريل معرض رأس الخيمة للكتاب ٢٠١٠م في دورته الرابعة، بحضور عدد من مديري الدوائر والمؤسسات في إمارة رأس الخيمة ونخبة من المثقفين في مركز رأس الخيمة للمعارض، واستمر المعرض حتى ٢٠ من إبريل بمشاركة ٨٠ مكتبة ودار نشر.

واشتمل المعرض على فعاليات المقهى الثقافي، التي تُنظّم بالتعاون مع اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات - فرع رأس الخيمة، وقد تمّ إهداء هذه الفعاليات إلى روح الراحلة الدكتورة روضة المطوع؛ اعترافاً بدورها الكبير في إثراء الحركة التعليمية والثقافية في الدولة عامة، وفي إمارة رأس الخيمة خاصة، وإبرازها الدور الفاعل للمرأة الإماراتية بتوليها مناصب ريادية، وتشجيعها المرأة الإماراتية على دخول قطاع الأعمال.



في ندوة نظّمها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر
الإصلاح اللغوي يرتقي بأداء المؤسسات الإعلامية

الجزائر: إنشراح سعدي

دعا عز الدين ميهوبي - كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلّف بالاتصال - إلى ضرورة عمل إصلاح لغوي من خلال تنظيم ورشات مستمرة بين المجلس الأعلى للغة العربية والمؤسسات الإعلامية والجامعات، مؤكداً استعداد وزارته لدعم إقامة هذه الورشات وكل الجهود للنهوض باللغة العربية وحمايتها.

وأوضح خلال يوم دراسي حول (اللغة العربية في الصحافة المكتوبة)، نظّمه المجلس الأعلى للغة العربية، أن الهدف من تنظيم هذه الورشات هو تقويم الأخطاء الشائعة؛ لتحسين مستوى أداء المؤسسات الإعلامية، خصوصاً الصحافة المكتوبة؛ للحفاظ على سلامة لغتهم وترقيتها، ووقف النزيف الذي يجتاح اللغة العربية، خصوصاً أن الجزائر تمتلك أكبر منظومة إعلامية في العالم العربي والإفريقي؛ إذ يقدّر عدد الصحف بـ٨٠ صحيفة يومية؛ لذلك «يجب ألاّ نترك هذه الصحف تتوسّع من دون الاهتمام بمضامينها ومستوى أدائها؛ لكي نجنّب اللغة العربية كثيراً من المآسي».

ورأى ميهوبي أن كثيراً من المؤسسات الإعلامية لا تنفق أموالها في حماية اللغة العربية؛ مما جعلها عرضةً للانتقادات، داعياً في هذا الصدد كل وسائل الإعلام إلى الاستثمار في مجال ترقية اللغة العربية في العناوين الناطقة باللغة العربية عن طريق جلب المدققين اللغويين، ونشر كتيّبات لتجنّب الأخطاء اللغوية الشائعة حتى تكون لديها مصداقية كبرى. كما أكد الحاجة إلى أمن لغوي في زمن العولمة. ويكون الأمن اللغوي - في رأيه - بإنتاج اللغة للوصول إلى لغة منتجة؛ مثل لغة المصطلح، تراعي خصوصية المجتمع وموروثه الفكري. وأشار كاتب الدولة إلى التراخي والإهمال الذي حدث في التعامل مع اللغة

وفاة رستم كيلاني

توفي الأديب المصري رستم كيلاني مؤخراً بعد أن نشر (قصص.. رستم كيلاني)، التي تضمّنت لمحة من حياته، وثماني قصص قصيرة.

وقد تأثّر رستم كيلاني بالأديب الكبير محمود تيمور في أدبه، واقتفى أثره في القصة، وآمن مثله بأن للأدب رسالةً إصلاحيةً عظيمةً، قبل أن يكون متعةً للكاتب والقارئ، لا يصلح معها سوى الواقعية في التناول، وعن ذلك يقول: «لقد عاهدت نفسي أن أسير على خطاه في إحياء الأدب الإنساني الثابت الذي نادى به في مدرسته الفنية (الاتباعية) الأصيلة، التي تؤمن بأن الأدب لا بد أن يكون هادفاً، وأن المجتمع الأخلاقي الذي يسير في طريق البناء، إذا أراد الأديب أن يعبّر عنه فنياً فلا وسيلة له سوى الواقعية الواضحة، الفاضلة، البنّاءة».

والأديب رستم كيلاني من مواليد حي عابدين في القاهرة عام ١٩٤٢م، وقد صدرت له ١٢ مجموعة قصصية، من أهمها: الجدران الباكية، وحكايات من حولنا، وقلادة من شوك، وزوايا الحياة.



العربية بعد الاستقلال؛ بسبب أن اللغة الرسمية أصبحت تتساوى مع لغة الشارع من خلال اللجوء إلى منطق تعويم اللغة، مؤكداً أن مستوى اللغة في الصحافة يشهد حالة انحدار؛ فالصحفي لا يُحترم مبناها ومعناها، ولا يُجتهد في استعمال اللغة المناسبة؛ مما يجعل اللغة العربية عاجزةً عن أن تكون في موقع متقدم على حدّ تعبيره.

وقال ميهوبي في السياق ذاته: «نحن بحاجة إلى لغة الزجاج، وليس لغة الخشب؛ أي: لغة شفافة بعيدة من الغموض والالتباس».

أما محمد العربي ولد خليفة - رئيس المجلس الأعلى للغة العربية - فأكد أهمية اللغة العربية بوصفها لغةً جامعةً وموحدةً، وهي ليست في خصومة أو تنافس مع اللغة الأمازيغية، ولا مع لغات أخرى، وإنما تقوم بوظيفة جامعة لكل الجزائريين، كما هو الحال بالنسبة إلى بلدان العالم التي تهتم بالتجانس الثقافي.



ميهوبي

وأضاف العربي ولد خليفة في السياق ذاته أن «اللغة العربية ليست خصماً للأمازيغية؛ فهي لسان وتراث وطني تمّت دسترته بمبادرة من السيد عبدالعزيز بوتفليقة رئيس الجمهورية، ولا شك أن افتعال الصراع بينهما لن يكون إلا لمصلحة لغة أخرى تسعى إلى مزيد من التغلغل في الألسنة والقلوب بعد أن غادرت جيوشها وإدارتها العنصرية الديار والحقول».

جمعية الصحفيين السودانيين أقامت ندوةً عن واقع الصحافة الإلكترونية

نظّمت جمعية الصحفيين السودانيين بالمملكة العربية السعودية مساء الأربعاء ٢٩ ربيع الآخر الماضي/ ١٤ إبريل بقاعة الملك عبدالعزيز للمحاضرات بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي ندوةً بعنوان: (الصحافة الإلكترونية: الواقع وتحديات المستقبل)، تحدّث فيها كلّ من: الخبير الإعلامي المعروف الدكتور فائز الشهري - أستاذ الصحافة الإلكترونية - والأستاذ محمد الشهري - رئيس تحرير صحيفة (سبق) الإلكترونية.

وقال الأستاذ إسماعيل محمد علي - الأمين العام للجمعية - إن هذه الفعالية تأتي في إطار البرنامج الثقافي الذي تنفذه الجمعية خلال هذه الدورة، مبيناً أن الندوة استعرضت مسيرة الصحافة الإلكترونية: بدايتها، وحاضرها، ومستقبلها. وقد ركّزت الندوة بشكل عميق في التحديات التي تواجه الصحافة الإلكترونية من جانب، وتأثيرها في الصحافة الورقية من جانب آخر.

وكانت الجمعية قد أقامت في وقت سابق من هذا الشهر ندوةً عن الشعر السوداني ورموزه في المراحل المختلفة، تحدث فيها الدكتور الصديق عمر الصديق - مدير مركز - والبروفيسور عبدالله الطيب بجامعة الخرطوم - والشاعر محيي الدين الفاتح محيي الدين، والدكتور سعد العاقب - أستاذ الأدب الشعبي في جامعة جوبا - الذين شاركوا في مهرجان الجنادرية، وتحدثوا في منتديات الرياض الثقافية؛ مثل: خميسية الجاسر، وأحدية الدكتور راشد المبارك، إلى جانب البروفيسور عز الدين عمر موسى - عميد العلوم الإستراتيجية في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.


معلوماتية

مشروع مجتمع المعرفة

ليس اقتصادياً فقط

ليس مشروع التحول إلى مجتمع المعرفة قضية اقتصادية فقط، بل إنه أكثر من ذلك، وهو ما يريد كاتب المقال طرحه؛ إذ يبدأ بإلقاء الضوء على مجتمع المعرفة الذي يُؤمل التحول إليه، ويُحاول وضع (رؤية ورسالة) له. ثُم يتحدث عن (الأسس) التي ينبغي أخذها في الحسبان في العمل على بنائه، والمحافظة على حيويته واستدامة تطوره، والاستفادة من معطياته، ليس (الاقتصادية) فقط، بل (الاجتماعية والإنسانية) أيضاً. ويفتح المقال نافذة الأمل إلى بناء هذا المُجتمع المُتجدد بروح عالية طموح تعزّزها إرادة العمل.

سعد علي الحاج بكري

الرياض - السعودية

مُقدمة

لا شك أن لكلمة (معرفة) بريقاً خاصاً لدى كل إنسان؛ فهي غذاء للعقل الذي ميّزه الله به من سائر مخلوقاته، وهي المادة الخام اللازمة لعمل هذا العقل، وهي أيضاً مصدر حفز إلى التفكير وتقديم عطاء معرفي مُتجدد شارك فيه الإنسان في كل مكان عبر مرور الأزمان. ولعل كلمة (معرفة) تُصبح أكثر جاذبية عندما تقترن بكلمة (مجتمع)؛ ففي هذا الاقتران تُصبح المعرفة، وما تستند إليه من علم وتفكير، المحور الرئيس لحياة الإنسان وثقافته، وجهوده ومُنجزاته، وعلاقته مع أخيه الإنسان. وعندما تُضاف كلمة (مشروع) نجد أنفسنا أمام تحرّك مدروس نحو بناء مُجتمع معرفي نتطلع إليه، ونأمل من خلاله أن نُحقق التنمية، ليس اقتصادياً فقط، بل اجتماعياً وإنسانياً أيضاً.

مُجتمع المعرفة المنشود ليس فقط بحوثاً ومُبتكرات علمية وتقنية يُمكن توظيفها لتقديم مُنتجات وخدمات مُتميزة تُؤدي إلى

يتميز العصر الذي نعيش فيه بأنه يتمتع بـ(ثروة في المعلومات)، لكن مع (فقر في التركيز)؛ بمعنى: وجود معلومات كثيرة غير مُستوعبة وغير مُستخدمة، ومن ثَمّ لا تُقدم أيّ فوائد



توليد الثروة، وليس فقط تعليماً ونشراً للمعرفة العلمية والتقنية يُحقق إسهام الجميع في توليد هذه الثروة ومُشاركتهم فيها، كما أنه ليس فقط ثقافة تُخاطب الإنسان وتحفزه إلى التفكير وسلوك طريق الحكمة والتواصل الإيجابي مع الآخرين في حياته الشخصية والاجتماعية والمهنية، بل هو كلّ ذلك؛ إنه تفاعل متواصل للمعرفة المفيدة يحفز استيعابها وتوليدها، ويُعزز انتشارها ومشاركة الجميع فيها، ومسؤوليتهم عن توظيفها والاستفادة منها اقتصادياً واجتماعياً وإنسانياً. وسنحاول إيضاح ذلك من خلال ما سيأتي من هذا المقال؛ إذ سنطرح رؤية مُجتمع المعرفة المنشود ورسالته، ونُناقش أسس بنائه وآفاق المستقبل بشأنه.

رُؤية مُجتمع المعرفة ورسالته

لعل البدء بتحديد الرؤية يُعطي انطلاقة معرفية واضحة للتوجه نحو بناء مُجتمع المعرفة المنشود. ويجب الإشارة هنا إلى أن طبيعة (مُجتمع المعرفة) كطبيعة الحياة مسألة تتبدّل وتتطور مع الزمن، وتحمل خصائص خاضعة لمتغيرات وتحديات تنشأ وتتجدد باستمرار. لكن هذا المُجتمع يرتبط في الوقت ذاته بأسس عامة ينبغي بناؤها، والمحافظة عليها، وجعلها قادرةً على التعامل مع التحديات والمتغيرات المُتجددة. وعلى ذلك، فإن مُجتمع المعرفة ليس مشروعاً يبدأ وينتهي، لكنه مشروع يبدأ ويتجدد ما شاء الله سبحانه وتعالى لحياة الإنسان أن تستمر. ومن هذا المُنطلق فإن مُجتمع المعرفة هو مشروع متواصل لا يتوقف، وإذا توقف فيكون ذلك لإتمام مرحلة والانطلاق نحو مرحلة أخرى، ولا بُد أن يبقى كذلك وإلا وقع في خندق التخلف



عن مسيرة المتغيرات المعرفية الناشئة والمُتجددة، وابتعد عن مواكبة الطموحات المنشودة التي يتطلع إليها.

الرؤية

إذا عددنا أن (رؤية مُجتمع المعرفة) تُعطي إجابة عن التساؤل: كيف ننظر إلى هذا المُجتمع؟ أو ماذا نتوقّع منه؟ أو ربما عن تحديد فوائده الرئيسة المأمولة، فإنه يُمكن عرض هذه الرؤية على المستوى العام لوطن طموح على النحو الآتي:

«تحقيق تميّز معرفي إيجابي متواصل يُعطي تنمية اقتصادية واجتماعية وإنسانية مستمرة وفاعلة تستجيب للمتغيرات، وتحفز العطاء المُتجدد، ويُؤدي أيضاً دوراً عالمياً إيجابياً يُسهم في التراكم الحضاري المتواصل الذي يسعى إلى خير الإنسان في كُل مكان».

الرسالة

إذا نظرنا إلى (رسالة مُجتمع المعرفة) على أنها تُمثل «ما يجب عمله من أجل تحقيق رؤية هذا المُجتمع»، أو على أنها «مهام هذا المجتمع المُبررة لوجوده»، أو ربما «وظائفه الرئيسة المطلوبة»، فإنه يُمكن طرح هذه الرسالة على المستوى العام

عندما نتحدث عن مُجتمع يُبنى على المعرفة المفيدة، ويحفز إنتاجها ونشرها، ويسعى إلى توظيفها والاستفادة منها، ويعمل على تحقيق فوائد اقتصادية واجتماعية وإنسانية من خلال ذلك، ويتّخذ من الزمان والمكان والتفاعل الحضاري محاور لأنشطته، ويتطلع إلى عالم إيجابي يتنافس ويتعاون ويبني، وليس إلى عالم سلبي يتصارع ويهدم؛ فإن الأمر قد يبدو لبعض الناس (طوباوياً Utopia) ولو على المستوى الجزئي. والمقصود هنا أن بعض الناس قد يجد أن الأمر يكاد يقترب من مسألة البحث عن مدينة فاضلة خيالية غير موجودة، أو ربما غير قابلة للوجود، كما تقول (الطوباوية).

ولا شك أن الأمم الطموحة لا تريد أن تبقى في الواقع الذي تعيشه؛ لأن في ذلك جموداً يُبعدها عن التقدم والتطوير، بل تُريد أن تنطلق من هذا الواقع لتحقيق التطوير المنشود الذي تتطلع إليه. وهذا التطوير الذي تُريد يجب أن يكون مقروناً بالأمل، حتى لو امتزج هذا الأمل بشيء من الخيال. وقد علّمنا التاريخ أن النجاح يُمكن أن يقفز بالأمم إلى ما لم تكن تحلم به، وأن الفشل يُمكن أن يهبط بها إلى ما لم تكن تظنّ أن تصل إليه، وإذا كنا نتطلع إلى النجاح بالأمل، ونملك روحاً عالية عامرة بإيمان القلب، ومُلتزمة إرادة العمل، فإننا سنصل إلى المستقبل المُشرق والمُتجدد الذي ننشده بإذن الله، حتى إن تراءى لبعض الناس أنه بعيد المنال.

للوطن الطموح بالشكل الآتي:

«بناء منظومة معرفية إيجابية مُتكاملة وفاعلة تهتم بالإنسان والمُؤسسات والتقنية الحديثة والتنظيم الإداري وبيئة العمل، وتقوم بالبحث العلمي والإبداع والابتكار وإنتاج المعرفة المفيدة بشتى أشكالها، وتعمل على نشرها بالتوعية والتعليم والتدريب ودعم المشاركة المعرفية، وتسعى إلى توظيفها والاستفادة منها اقتصادياً واجتماعياً وإنسانياً، وتُركز على البعد الدولي والتواصل المعرفي مع الآخرين، وتسعى إلى الإسهام في التراكم المعرفي الإنساني، وتستخدم أفضل الوسائل والأساليب المُتاحة في سبيل ذلك».

وهكذا تكون الرؤية قد طرحت (الفوائد الرئيسة المأمولة) من مُجتمع المعرفة، وتكون الرسالة قد بيّنت (وظائفه الرئيسة المطلوبة) لتحقيق هذه الفوائد. ويجب الآن الانطلاق من مضمونهما، والعمل على التعريف بالأسس العامة لبناء هذا المُجتمع، وتمكينه من تنفيذ الوظائف المطلوبة، والسعي نحو تحقيق الفوائد المُستهدفة، وصولاً إلى المسار السليم نحو تحويل مجتمع المعرفة المُتجدد والمنشود إلى حقيقة واقعة.

أسس بناء مُجتمع المعرفة

سوف ننظر إلى أسس بناء مُجتمع المعرفة من خلال ثلاثة محاور رئيسة: محور مبدئي عام يهتم بخصائص (المعرفة) المطلوبة التي نحتاج إليها، ومحور آخر يُركز في طبيعة (المعطيات) المنشودة المطلوب الوصول إليها، ثم محور يتعلق بـ(الأبعاد) التي ينبغي أخذها في الحسبان في بناء هذا المُجتمع، وتنفيذ أنشطته، والاستجابة للمُتطلبات من حوله.

المعرفة المطلوبة مُفيدة وحيّة

ترتبط (المعرفة) المطلوبة بمبدأ مهم من مبادئ (إدارة المعرفة)، هو مبدأ التركيز في (المعرفة المفيدة). وإذا نظرنا إلى هذا المبدأ نظرة مُقابلة لتركيزه في المعرفة المفيدة نجد أنه يقضي أيضاً بعدم الاهتمام بالمعرفة غير المُفيدة. وفي هذا الإطار تبرز مسألة التمييز بين المعرفة المفيدة والمعرفة غير المفيدة. ومن خلال هذه المسألة تظهر قضية (الأولويات المعرفية) التي تعدّ واحدة من قضايا التخطيط وتحديد التوجّهات المُستقبلية. ولا شك أن هذه الأولويات تتضمن جانباً عاماً يهم العالم بأسره، وجانباً خاصاً يرتبط بهذه الأمة أو تلك، تبعاً لمتطلباتها وإمكاناتها وما هو متوافر لديها، وجاهزيتها للعمل والعطاء، وقدرتها على المُنافسة في الحقول المعرفية المُختلفة. ولا يعدّ تحديد المعرفة المفيدة كافياً للتعامل معها، كما لا يُمثّل حجمها مقياساً لقيمتها؛ إذ لا بد أن يقترن كلاهما مع القدرة على استيعابها واستخدامها والاستفادة منها. وهناك من يصف العصر الذي نعيش فيه بأنه يتمتع بـ(ثروة في المعلومات)، لكن مع (فقر في التركيز)؛ بمعنى: وجود معلومات كثيرة غير مُستوعبة وغير مُستخدمة، ومن ثَمّ لا تُقدم أيّ فوائد على الرغم من أنها قد تستطيع



ذلك. وفي إطار المعرفة، وحجمها، واستخدامها، والاستفادة منها، يقول الكاتب الشهير خليل جبران: «إن معرفة قليلة مُستخدمة خير من معارف كثيرة عاطلة عن العمل»، ويقول الاقتصادي المعروف بيتر دركر Peter Drucker: «المعرفة تحيا فقط في التطبيقات».

على أساس ما سبق نقول: إن المعرفة المطلوبة هي المعرفة المفيدة، لكن هذه المعرفة مهما بلغ حجمها تبقى مُعطلة أو عاجزة عن تقديم فوائدها ما لم تُستوعب وتُستخدم بالفعل. واستخدام المعرفة المفيدة وتطبيقها هو ما يجعلها (حية) وعاملة ومفيدة بالفعل. وليست المعرفة المفيدة والحية اقتصادية فقط، بل هي اجتماعية وإنسانية أيضاً، كما هو موضح في مُناقشة المعطيات المعرفية فيما يأتي.

المعطيات المنشودة اقتصادية واجتماعية وإنسانية

نصل هنا إلى محور (معطيات) مجتمع المعرفة المنشود؛ فهذه المعطيات يجب أن تكون اقتصادية واجتماعية وإنسانية. وليست

هذه المعطيات مُنفصلة أو مُتباعدة، بل هي مُتكاملة تُؤثر وتتأثر فيما بينها، وتتفاعل كذلك مع محيطها الخارجي.

وتشمل المعطيات (الاقتصادية) مُنتجات وخدمات يُمكن تسويقها والحصول من ذلك على أرباح تُسهم في (توليد الثروة). وتُبرز بعض تعريفات الاقتصاد المبنيّ على المعرفة أولويات لحقول معرفية تتميز بسرعة التطور والتجدد والقدرة على الإسهام في توليد الثروة؛ مثل: حقول تقنيات الإلكترونيات، وتقنيات التحكم والذكاء الاصطناعي، والتقنيات الحيوية والهندسة الوراثية، وتقنيات (النانو)، وتقنيات الاتصالات والمعلومات وخدماتها، والخدمات الطبية، والخدمات الإدارية الحديثة، وغير ذلك. وتُمثل مثل هذه الحقول أولويات معرفية للمعطيات الاقتصادية في الدول التي تتمتع أو تستطيع الوصول إلى الجاهزية اللازمة للتعامل معها والاستفادة منها. وعلى أية حال، فإن التميز المعرفي حتى في الحقول الإنتاجية والخدمية الأخرى يُمكن أن يُعطي تميزاً اقتصادياً مفيداً.

ولا تهتم المعطيات (الاجتماعية) بتوليد الثروة فقط، بل تُركز أيضاً في المُشاركة في توليدها بما يُؤدي إلى المشاركة في الاستفادة منها أيضاً. وتأتي المشاركة في توليد الثروة والاستفادة منها من خلال نشر المعرفة المُناسبة والمشاركة فيها وتنفيذ أنشطتها المُختلفة. ومن هذا المُنطلق، فإن التوجه المعرفي نحو المعطيات الاجتماعية هو توجّه يحرص على العمل المعرفي الجماعي لفائدة جميع أبناء المجتمع؛ إذ تتوافر لكل فرد فيه فرصة تأهيل معرفي مُناسب وعمل معرفي مُجدٍ. وهكذا، فإن المعطيات الاجتماعية لمجتمع المعرفة تحتاج إلى حقول وأولويات معرفية لا تقتصر فوائدها على (توليد الثروة) فقط، بل تشمل - إضافةً إلى ذلك - (تشغيل المهارات البشرية) أيضاً. ويكتسب هذا الأمر أهمية خاصة في مُجتمعنا العربي المتميز بنموسكاني مُرتفع.

ونأتي إلى المعطيات (الإنسانية)، وحقيقة الأمر هنا أن جوهر هذه المعطيات هو بناء (ثقافة المعرفة) بين أبناء المُجتمع. وثقافة المعرفة هي الثقافة التي تحثّ على طلب المعرفة المفيدة، ونشرها والمشاركة فيها، والتفكير الإيجابي والإبداع والابتكار وتوليد المعرفة المفيدة، والعمل على توظيفها والاستفادة منها. وهي أيضاً الثقافة التي تُؤدي إلى الالتزام المعرفي والارتقاء بإمكانات الإنسان وسلوكه. ومن أمثلة ذلك: التزام المعرفة الصحية ومراعاة مُتطلباتها، والتزام التشريعات التي تسعى إلى المصلحة العامة؛ كقوانين المرور على سبيل المثال لا الحصر، والتزام حُسن التعامل مع الآخرين في إطار الأسرة، وعلى مستوى العمل المهني والتواصل الاجتماعي، وغير ذلك من التزامات معرفية تعود بالنفع ليس على الفرد فقط، بل على المُجتمع بأسره أيضاً.

أبعاد العمل المعرفي: الزمان والمكان والتفاعل الحضاري

من محور (مُعطيات) مُجتمع المعرفة ننتقل إلى محور (الأبعاد) في إطار التوجّه نحو بناء مُجتمع المعرفة المنشود. وتتضمن هذه الأبعاد بُعداً (زمانياً)، وبُعداً (مكانياً)، ثُم بُعداً يختصّ بـ(التفاعل الحضاري). ففي إطار النظر إلى مجتمع المعرفة وقضايا المستقبل لا بد من استيعاب تجارب الماضي، سواء البعيد منه أو القريب. ويستطيع الإنسان أن يستفيد من تجارب الماضي، سواء السلبية منها أو الإيجابية؛ فالتجارب السلبية تكون قد دفعت ثمن ما أفرزته من مشكلات، ولا يجب تكرارها، أو إعادة ما يُشبهها؛ منعاً لدفع مثله مرة أخرى، و«المؤمن لا يُلدغ من جُحر مرتين». والتجارب الإيجابية تكون قد نالت الفوائد وسعدت بها، ومن المفيد استلهام مسارها؛ أملاً في نيل ما يُماثلها مرة أخرى. وما مضى من الزمن، مهما كانت أحداثه إيجابية أو سلبية، مضى إلى غير رجعة، وهو لذلك لم يعد ملكاً لأحد، بل أصبح بخيره وشره تُراثاً إنسانياً يستطيع الجميع الاستفادة منه، سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو الإنساني. وما ينطبق على الماضي من حيث إنه ملك الجميع ينطبق أيضاً على المُستقبل. وقد حدّدنا توجّهات المستقبل من خلال بيان (رؤية) مجتمع المعرفة و(رسالته)؛ إذ ركزنا في ضرورة العمل على (بناء منظومة معرفية إيجابية مُتكاملة) قادرة على العطاء المتواصل، والتكيف مع المُتغيرات والاستجابة لها، ودخول سباق تقديم المستجدات والعمل على الاستفادة منها.

ونأتي إلى البُعد المكاني؛ فمجتمع المعرفة في هذا المجال مطلوب في إطار دوائر مكانية مُتعددة. ولا تُمثل هذه الدوائر مسافات فقط، بل ترتبط أيضاً بمدى التقارب أو التباعد في الصفات المُختلفة، بما في ذلك الصفات الثقافية والاقتصادية. الدائرة الصغرى في البُعد المكاني يُمكن أن تكون الفرد أو الأسرة حيث تتسلسل الدوائر بعد ذلك إلى الحيّ، فالمنطقة المحلية، ثم الدولة، فمجموعة الدول كما

هو الحال في مجموعة دول مجلس التعاون، ومجموعة دول الجامعة العربية، ومجموعة دول الاتحاد الأوربي، وصولاً إلى الدائرة الكبرى التي تضم العالم بأسره. ففي إطار هذه الدوائر، أو عدد منها، هناك سمات معرفية عامة مُشتركة، وهناك سمات خاصة. ويجب أخذ هذه السمات في الحسبان في إطار العمل المعرفي بجوانبه المُختلفة الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية.

ومن بُعدي الزمان والمكان نأتي إلى بُعد (التفاعل الحضاري)، وهو بُعد يرتبط بالإنسان في حياته وحركته عبر الزمان والمكان. في إطار هذا البُعد طرح الباحث الأكاديمي صموئيل هنتنغتون Samuel Huntington في مُنتصف تسعينيات القرن الماضي مسألة (صراع الحضارات)، وأورد في طرحه ثماني حضارات رئيسة مُرشحة للصراع، بينها حضارتنا الإسلامية العظيمة.

إذا نظرنا إلى صراع الحضارات بعين رقيقة وإيجابية، وفهمناه على أنه منافسة مفتوحة في بيئة من العدل والمساواة وتكافؤ الفرص، نجد أنه أمر مفيد ومطلوب، بل حافز إلى التقدم والعطاء، وجميع الأطراف فيه رابحون، كلٌ في مجال قدرته على التفوق. ولكن إذا نظرنا إليه بعين مُختلفة، كما فعل هنتنغتون، وفهمناه على أنه صدام مُسلّح يعتمد على القوة المادية فقط، نجد أنه يحمل الضرر والخسارة للجميع: فالقوة المادية غير المنضبطة بالمبادئ الإنسانية عامل هدم لغيرها بالأفعال التي تقوم بها، وعامل هدم لنفسها بردود الأفعال التي لا بد أن تتعرض لها. ولا شك أن الحضارة تثبت نفسها من خلال ما تبنيه ليبقى شاهداً لها، وليس من خلال ما تهدمه ليُذكر شاهداً عليها.

ولا شك أنه من المستحبّ درء الصراعات المدمرة من خلال تحويلها إلى منافسات عادلة تُعزّز الأمن والسلام، وتحفز العطاء المفيد. وهنا يبرز دور مُجتمع المعرفة؛ دور تحصيل المعرفة الحضارية المفيدة التي تُؤدي إلى بناء بيئة حضارية عالمية إيجابية يُمكن توظيفها وجعلها حية تُؤدي إلى تنافس بنّاء بين الحضارات، وليس إلى صراع هدّام لا تُحمد عقباه. إن (التواصل الثقافي الإيجابي بين الحضارات) يُمثل بُعداً رئيساً من أبعاد مُجتمع المعرفة يجب الاهتمام به؛ فهو مُتطلّب مهم لنجاح مُجتمع المعرفة المنشود في تقديم مُعطياته الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية ليس على المستوى المحلي والوطني فقط، بل على المستوى الدولي أيضاً. ولا شك أن هذا التواصل يجب أن يكون قائماً على العدل والمساواة والتفاهم الإنساني، وهو في النهاية لمصلحة الإنسان في كُل مكان.

المـــراجـــع

- J. A. De Feo and W. W. Barnard, Juran Institute Six Sigma: Breakthrough and Beyond: Quality Performance Breakthrough Methods, Mc-Graw-Hill, New York, 2004.
- C. De Brun, "ABC of knowledge management", NHS National Library for Health, 2005, www.library.nhs.uk (Accessed June 2008).
- H. Kissinger, Does America Needs A Foreign Policy? Toward a Diplomacy for the 21st Century, Simon and Shuster, USA, 2001.
- Wiley Source, "What is knowledge management", http://media.wiley.com (Accessed June 2008).
- سعد علي الحاج بكري، التحول إلى مُجتمع المعرفة، مكتبة الملك عبد العزيز العامة (سلسلة الكتب المُحكمة)، الرياض، المملكة العربية السعودية، عام ٢٠٠٥م.
- I. Brinkley, "Defining the knowledge economy", Knowledge Economy Program Repot, The Work Foundation, UK, 2006, www.theworkfoundation.com (Accessed April 2009).
- Worldbank, Knowledge for Development (K4D): Knowledge Assessment Method (KAM), http://info.worldbank.org/etools/kam2 (Accessed 2009)
- سعد علي الحاج بكري، منظومة مُجتمع المعرفة في عيون تتأمل وعقول تأمل، برنامج مُجتمع المعرفة، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، عام ٢٠٠٨م.
- S. P. Huntington S.P., *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order*, New York, Simon & Schuster, 1996.
- S. H. Bakry S.H. and A. Al-Ghamdi, "Cultural pluralism in the context of the knowledge society ecosystem: reviews and views", (King Saud University), to appear.
- A. Roy, "Ideal last lecture", Golden Apple Award for Outstanding Teaching Lecture, UC Berkeley, i-Tunes-U (Accessed 2009).

عمّة هيلاري

سيريل هير(*)

ترجمة: عاطف عبدالجواد علي

ينتمي هيلاري سميث إلى عائلة كريمة، ولم يكن والده يتردّد قطّ في ذكر هذه الحقيقة. لكن عمر هذه العائلة الحقيقي غير مؤكّد، وكان السيد سميث يسلك سلوك السلف، وكان فكره وسلوكه ينتميان إلى العصر الفيكتوري (العصر الذهبي للأخلاق والسلوك في بريطانيا كمملكة كبيرة وهائلة في ذلك الزمان).

وللأسف، إن هيلاري نفسه لديه بعض المشكلات التي لم يكترث لها مع المصرف بخصوص بعض الشيكات، وكان ذلك في رأيه أمراً بسيطاً على النقيض من والده.

وتمّ إرسال هيلاري إلى أستراليا، التي لم يكن يعرف عنها كثيراً، ولكن في قرارة نفسه كان هناك شيء واحد، هو أن أستراليا ليست هي المكان المناسب لهؤلاء الذين لا يكترثون بالعادات البريطانية القديمة. ولم يكن هيلاري يكترث بأستراليا، ويبدو أنها هي الأخرى لم تؤثره؛ لذا انتهز هيلاري أول فرصة سنحت له وعاد أدراجه إلى وطنه إنجلترا، ولكن لم يكن بحوزته من مال اكتسبه ما يكفي لشراء تذكرة العودة؛ لذا كان من المحتّم عليه الانتظار حتى موت أبيه وأخيه. ومن حسن حظّه أن تحقّق له ذلك عاجلاً؛ مما تسنّى له الحصول على مال الأسرة العريقة. ولم يكن هذا المال بالقدر الكبير؛ فسرعان ما أنفقه (ولم يتسنّ للأسرة العريقة توفير قدر كبير من المال في السنوات التالية). وعندما أنفق هيلاري كل المال أصبح أمام أمرين: إما الموت، وإما العمل. ولم يسعده أيّ من هذين الأمرين، وعندئذٍ أحسّ أنه وحيد في هذا العالم، ولكن سرعان ما أتى إلى باله أن لديه عمة كانت هي الأخت الوحيدة لأبيه، ولكن معرفته بها كانت بسيطة. وكانت أفكار أبيه البالية هي السبب في هذه التعاسة، وكان الأب يحزن لمجرد ذكر اسم تلك العمة، وكان يقول لهيلاري: إن عمته هي التي جلبت العار للأسرة، وهو بدوره كان يحاول معرفة السبب، كما أنه كان يحاول معرفة فعلتها؛ فهي على ما يبدو قد أخفقت في زواجها من رجل نبيل، وبدلاً من ذلك تزوّجت رجلاً له صلة بالتجارة، وهو ما لم تتقبّله الأسرة العريقة بالطبع.

وبمجرد أن أصبحت العمة زوجة بروزرا (الزوج) عدّها أخوها في عداد الموتى. وقد توفّي ذلك الزوج فيما بعد، وترك لها قدراً كبيراً من المال، ولكن ذلك لم يساعدها على العودة إلى حياتها من وجهة نظر أخيها.

وتمكّن هيلاري من معرفة عنوان العمة عن طريق محامي العائلة. ومن حسن الحظ أنها بقيت مخلصةً لزوجها بعد موته؛ لذا ظهر نجم هيلاري مرةً أخرى، وأن السيدة العجوز تؤثره. وعندما يكون هيلاري صادقاً مع نفسه كان يتحدث معها بلطف، وكان دوماً يزورها. ويسكن في المنزل الذي تنفق عليه من دخل التجارة، واستراح عندما استطاع أن يكون على راحته في ذلك المنزل، وشعر كأن بحاراً وصل إلى شاطئ الأمان. وكان كلّ ما يملكه في ذلك الوقت ستة بنسات، ولكن مع كل ذلك كان هناك شيء واضح للعيان، هو أن عمته كانت على وشك الموت نتيجة مرض خطير. وذات مرة تحدث مع طبيبها الذي أنذره بمرضها، وأخبره أنه ليس هناك أمل في شفائها؛ فمن المحتمل أنها ستعيش بعض الوقت، ولكن النهاية أكيدة. كما أخبره بأن حالتها ربما تسوء في أيّ لحظة، وأنها عند مرحلة محدّدة ستكون في حالة يأس من الحياة، وهو ما لا يحبّذه لها أيّ شخص طيّب.

وكان هيلاري متضايقاً جداً؛ فقد أتاه القدر ببيت، وسيلقيه خارجه مرةً أخرى، وسيعيش في هذا العالم وحيداً مرةً أخرى. وكان هناك شيء يمكن فعله، هو أنه في إحدى الأمسيات التي تحسّنت حالة

عمته فيها طلب منها تفاصيل وصيتها، فانخرطت في الضحك عند سماع هذه الكلمة وتعجّبت، وسألته إن كانت كتبت وصية، وسرعان ما أخبرته بأنها فعلاً فعلت ذلك، وستترك كلّ مالها لبعض المدينين في الصين، أو في جزيرة بولونيزا، وأن محاميها بلين كشوب سيذكره بها؛ فهو يحتفظ بها. وكانت العمة تفترض أنها كانت في يوم من الأيام مدينةً، وسألها هيلاري عن وقت كتابة هذه الوصية، فأخبرته أنها كتبتها عندما كانت تبلغ من العمر واحداً وعشرين عاماً بناءً على طلب جد هيلاري، الذي كان يرى ضرورة فعل ذلك، وهي لم يكن لديها مال في ذلك الوقت؛ لذا لم يكن لهذه الوصية جدوى. لم يغتبط هيلاري لهذه الأخبار في البداية، لكنه الآن أكثر سعادة.

وسأل هيلاري عمته عما إذا كتبت وصية أخرى عندما تزوجت، فأومأت برأسها، وأخبرته أنه لم يكن هناك داعٍ؛ فلم يكن لديها شيء؛ فقد كان كل شيء لدى جون. ثم بعد مماته آل إليها كل شيء، ولكن لم يكن لديها أيّ أقارب (ما عسى أن أفعل بالمال من دون الناس؟). ثم رمقته بنظرة قوية، واقترحت أن تحادث المحامي السيد بلين كشوب مرةً أخرى. وقال لها هيلاري: ليس هناك داعٍ. ثم غيّر موضوع النقاش.

وفي اليوم التالي توجّه هيلاري إلى المكتبة العامة، وتصفّح كتاباً محدداً عما يعتقد هو من أنه عندما تتزوج امرأة فإن وصيتها قبل الزواج ستكون عديمة الفائدة، ومن ثَمّ يجب كتابة وصية جديدة، وإذا لم يتم ذلك يؤول المال إلى أقرب الأقارب، وكان هو يدرك أنه قريبها الوحيد. وهكذا تحدّد مستقبله، وأصبح في بر الأمان.

وبعد مضيّ بضعة أشهر تعقدت الأمور، وتأكدت صحة رأي الطبيب: فقد رقدت في السرير، وبدا أنها لن تقوم منه. وفي الوقت نفسه ازدادت حاجته إلى المال؛ إذ إنه كان يشتهي كل ما هو غالٍ، وأصبح مديناً بمبالغ طائلة إلى أصحاب المحال الذين وضعوا ثقتهم فيه لثراء عمته. ومع كبر المبالغ، ولسوء حظه أصبحت العمة مريضةً لدرجة عدم تمكّنه من الحديث معها، وهي بدورها لم ترغب في فتح موضوع المال معه على الإطلاق. وكان المرض يمنعها من النوم، وكانت تغضب لذكر المال، حتى إنها ذات مرة تشاجرت معه بسبب عشرة جنيهات، واتهمته بأخذها، ولم يغضب هو لإدراكه مرضها الذي يدفعها إلى تصرفات غريبة، وعندئذٍ تذكّر كلام الطبيب، وهنا خطرت على باله فكرة: أيسعده حقاً أن تعيش عمته مدة أطول أم من المستحسن أن توارى في التراب؟ وكان هذا يشغل فكره حتى عند الذهاب إلى النوم، وقد أبلغته العمة في صباح اليوم التالي بتحديد موعد مع بلين كشوب؛ فلم يكن هيلاري متأكداً من أنها ستكتب وصية جديدة، وهل ستكون في مصلحته هو، فربما ستترك كل أموالها لشخص آخر. ثم فكّر فيما يجب عمله عندئذٍ، وتوصّل إلى قرار واضح بأنه من الضروري أن يفتعل المعاملة الكريمة لعمته العجوز المسكينة.

كانت العمة المريضة تأخذ الدواء كل ليلة، وقرّر هيلاري زيادة الجرعة، ولم يكن في نيّته إخبارها بذلك، ولكن من الممكن أن يساعدها على الموت بسرعة، وهذا ما وجده سهل التنفيذ، ويبدو أنها الأخرى بدورها كانت تساعده على ذلك، وكانت هناك خادمة عجوز تمرضها، وذات مرة طلبت منها العمة أن تخرج لقضاء بعض الحاجات، ففعلت، وكان هيلاري قد طلب منها إعداد الدواء قبل خروجها، وفي تلك الأثناء يمكن له إعطاؤها الدواء في وقته، وهي مهمة سهلة عليه؛ فكل المطلوب إعطاؤها جرعة كبرى من الدواء، ولو حدث مكروه فيمكن له تسويغ فعلته، فيقول مثلاً: إنه لم يفهم طريقة إعطاء الدواء، أو أن الخادمة هي التي أعطت الدواء، وكانت كمية الدواء - لسوء الحظ - زيادةً على الضروري، ولكن من له أن يشكّ في ابن الأخ. وشكرت العمة ابن الأخ عند مناولتها الدواء بامتنان، وأخبرته أن كل ما تريده هو النوم إلى الأبد؛ فهذا كل أملها في الحياة، ورمقته بنظرة ثابتة وقاسية، وقالت له: أهذا ما تريده يا هيلاري؟ لقد أعطيتك فرصتك، وسامحني إذا كنت أشكّ فيك، وأسيء الظنّ بك، وأنت تعرف أن المرضى تنتابهم أفكار مثل تلك الأفكار، وإذا كُتبت لي الحياة مرةً أخرى غداً فسأقوم بعمل ما هو في مصلحتك، فسيأتي المحامي وأكتب وصيةً لك، أما إذا متّ هذه الليلة فلن تحصل على شيء، وسيؤول المال كله إلى الصينيين. كما أودّ توضيح أمرٍ، هو أن جون (بروزرا) لم يتزوجني؛ إذ كانت له زوجة، وفي هذه الحالة لم يكن يحق له الزواج بأخرى، وهو ما جعل أباك الأحمق يغضب مني. لا يا هيلاري، لا تحاول سحب كوب الدواء، فإذا فعلت ذلك فسأعرف ما لا أريده. تصبح على خير يا هيلاري. وفي تلك اللحظة رفعت الكأس إلى فيها، وتناولت الدواء.

(*) سيريل هير هو الاسم المستعار للقاضي الفرد إلكسندر جوردون دارك (١٩٠٠-١٩٨٥م)، الذي تعلّم في مدرسة رجبي، وفي نيو كوليج في مدينة أكسفورد. وتتعلّق كتاباته بعمله في مجال القانون، ولكنه حاز على الشهرة من كتابة القصص القصيرة، حتى أصبح كاتباً بريطانياً معروفاً باسم سيريل هير.

الأمير عمر طوسون وعلماؤه

أعلام

عبدالكريم إبراهيم السمك

الرياض - السعودية

في مدينة الإسكندرية المصرية كان مولد الأمير عمر طوسون، صباح يوم الأحد الخامس من رجب سنة ١٢٨٩هـ/ الثامن من سبتمبر عام ١٨٧٢م[١]. والده هو الأمير محمد طوسون ابن الخديوي محمد سعيد بن محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية، ووالدته الأميرة بهشت حور. أما والدة الأمير عمر طوسون، فهي الأميرة ملك بيير. وقد فجع الأمير عمر بوفاة والده وهو ابن أربع سنوات، فكفلته جدته لأبيه خير كفالة، واعتنت به أحسن عناية، فنشأ نشأة حسنة، وشبّ على الأدب والكمال خَلقاً وخُلقاً؛ فقد هيّأت له جدّته مدرسين في كل العلوم والفنون، فكانوا يأتونه ويدرّسونه في بيت أبيه. وعندما بلغ الحلم، وصلب عوده، واطمأنت عليه جدته، أرسلته إلى سويسرا لطلب العلم، فعاش فيها مدة دراسته، وعند الانتهاء من دراسته قصد كلاً من فرنسا وإنجلترا في طريق عودته إلى مصر؛ بقصد الاطلاع على آخر ما وصلت إليه النهضة العلمية والصناعية والزراعية في هذين البلدين. وبعد انتهاء سياحته هذه قفل عائداً إلى مصر، وما إن وصل، واستقرّ مقامه في بلده، حتى تزوّج من ابنة عمه الأمير حسن نجل الخديوي إسماعيل، ورزق منها بأربعة من الأولاد: سعيد، وحسن، وبنتين[٢].

دخل الأمير عمر معترك الحياة العملية بعد ذلك؛ فقد ورث عن والده كثيراً من الأطيان والأراضي الزراعية، وكلها تحتاج إلى رعاية واستصلاح؛ لما فيها من سبخات ملحية بسبب هجرانها وعدم زراعتها. ونجح الأمير عمر في زراعتها بعد استصلاحها، وعمد إلى العمل على تحديث الوسائل الزراعية وتطويرها، وهذا الأمر دفع عدداً من الأمراء إلى توكيله في العناية والاهتمام بأراضيهم. وقد اتّسمت علاقة الأمير عمر بالفلاحين العاملين معه بالعطف والرعاية والحنو عليهم؛ فقد لمس واقع الظلم الذي يعيش فيه الفلاح المصري، فاهتمّ به أيّما اهتمام، وتجلّى ذلك الاهتمام عندما دُعي إلى المشاركة في إنشاء الجمعية الزراعية الملكية على يد الأمير حسين كامل عام ١٨٩٨م، فقدم إليه بهذه المناسبة أول مؤلفاته، وكان باللغة الفرنسية، وعنونه بـ«أبو الفلاح»[٣]. وأظهر فيه عمر طوسون مكانة الفلاح، وضرورة الإحسان إليه، ومساعدته، ورفع الظلم عنه. وقد انتسب الأمير عمر إلى هذه الجمعية منذ نشأتها، ثم غدا وكيلاً لرئاستها عام ١٩٠٧م، ثم رئيساً لها بعد وفاة الأمير كمال الدين عام ١٩٣٢م، واستمر رئيساً لها حتى وفاته رحمه الله. ولقد شهد واقع الزراعة في مصر نهضة زراعية نتيجة جهود الأمير عمر طوسون، وإلى ذلك أشار الأمير محمد علي[٤] بقوله: «إن الرخاء الزراعي الذي تعيشه مصر اليوم يعود جانب من الفضل فيه إلى جهود الأمير عمر طوسون»، الذي استحدث نظام المزارع الحديثة من خلال تطوير العمل الزراعي، وذلك بمساعدة المحتاجين من المزارعين، وإرشادهم إلى الأساليب الزراعية الصحيحة. وقد شهد معرض القاهرة الزراعي عام ١٩٣٦م عدداً كبيراً من النظم والمشروعات الزراعية، والتقارير والدراسات الخاصة بالتطوير والارتقاء بالزراعة، أعدّها الأمير عمر طوسون كي تكون متزامنةً مع قيام هذا المعرض، كما كان - رحمه الله - على صلة دائمة بالكتابة في المجلة الخاصة باتحاد المزارعين المصريين منذ صدورها حتى وفاته.

عمر طوسون وعطاؤه العلمي

جسّد الأمير عمر طوسون في عطائه العلمي[٥] ذاكرة التاريخ الإسلامي المعنيّة بطبقة الأمراء والملوك والخلفاء، الذين خلّد التاريخ أسماءهم في ذاكرته بصفحات من نور، من خلال سيرتهم العلمية، ورعايتهم العلم والعلماء. ومن هؤلاء: أبو الفداء ملك حماة الأيوبي، الذي ترك ميراثاً علمياً لا يُماثل، أغنى به المكتبة العربية الإسلامية، فنالت شخصيته مكانة سامية في الحضارة الإنسانية بعطائه العلمي، وكونه وجهاً من وجوه الحضارة الإسلامية، فهذه المكانة السامية ما كانت لتُوجد لولا الذي تركه من عطائه العلمي. وكذلك الأمير عمر طوسون، الذي اتّصف بكمال الأدب والعلم، وعظيم الحلم والأخلاق، وما كان للعلم أن يأتي إلا ممّن كسوته الأدب، وطيب الخلق، والطبع المستقيم، وذلك ما عاش عليه ومات الأمير عمر. ويوم أن مات نعاه كثير

من العلماء والأدباء والصحف المحلية والعالمية، والفقراء قبل الأثرياء: فقد عاش خمسة عقود لا يعرف عطاؤه فيها الملل والكلل. ومؤلفات الأمير عمر وعطاؤه العلمي هي: الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي، ونبذة عن المدارس الحربية والمعامل العسكرية وحالة الجيش المصري في عهد محمد علي، والصنائع والمدارس الحربية والبعثات العلمية في عهد محمد علي، ومصر والسودان، وكلمات في سبيل مصر، ومذكرة عن مسألة السودان بين مصر وإنجلترا، وكتاب مالية مصر من عهد الفراعنة إلى اليوم، وبطولة الأورطة السودانية في حرب المكسيك، ويوم ١١ يوليو عام ١٨٨٢م، والبعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، والأطلس التاريخي الجغرافي لمصر السفلى منذ الفتح الإسلامي إلى الآن مع (١٠) خرائط حائطية، ووادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة، والمسألة السودانية، والجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم، وتاريخ مديرية خط الاستواء المصرية من فتحها إلى ضياعها، وتاريخ خليج الإسكندرية وترعة المحمودية، ومذكرة عما صدر منا منذ فجر الحركة الوطنية المصرية، ومذكرة حول التشريع لتنظيم الوقف، ومذكرة مسألة السودان، والإسكندرية عام ١٨٦٨م، وضحايا مصر في السودان وخفايا السياسة الإنجليزية، وفتح دارفور، وتحقيقات على البلدان المصرية الواردة في الباب الثالث من كتاب (قوانين الدواوين) لأبي حماتي الذي طبعته الجمعية الزراعية الملكية عام ١٩٤٤م (لم تطبع)، وتحقيقات جغرافية عن بعض بلاد الجزيرة العربية أيام حروب إبراهيم باشا في بلاد العرب (لم تطبع)، ومذكرة عن أعمال لجنة تربية المواشي، وتقرير عن لجنة تربية المواشي، وتقرير عن سير أعمال لجنة تربية المواشي، وقلة نظافة القطن العفيفي، وتحقيق زراعة الدخان بمصر، ومذكرة عن فروع النيل القديمة، وفتح مصر لابن عبدالحكم، والإسكندر المقدوني وقبر النبي دانيال، ولقب الخديوي، ولقب عزيز مصر، وموقعة أبي قير البحرية، ومقتبسات من تاريخ مديرية خط الاستواء، وصفحة من تاريخ الجيش المصري في حرب القرم، وحرب جزيرة العرب، وحرب اليونان عام ١٨٢٣-١٨٢٨م، وحرب سورية الأولى عام ١٨٣٢م، وتمرّد فلسطين عام ١٨٣٤م، ومحاربة الجنود المصرية النظامية للدروز في حوران، وأراضي الدومين والدائرة السنية، والحرب السودانية الثانية، والجنود المصرية في حرب القرم، والأورطة السودانية المصرية في حرب المكسيك، والحملة المصرية في البوسنة. وثورة عسير، ومذكرة عن تاريخ النيل مع (٢٢) صورة، وجغرافية مصر (مذكّرتان)، ومصر السفلى كما ورد تاريخها في الروك الناصري، ومذكرة عن الصحارى المصرية، ونهاية المماليك، والآثار المغمورة بالماء في أبي قير، ورحلة الإسكندر إلى واحة جو بثير آموك، والصحراء الليبية: سليا وأديرتها، ووصف منارة الإسكندرية كما أورده مؤلف عربي في القرن الثاني عشر، وصعود إلى قمة عمود بومبي، وجغرافية مصر في العهد العربي، وخرائط موقعة حمص، وخريطة موقعة بيلان، وخريطة موقعة قونية، وقصر القطاجي، وطوابي الإسكندرية وضواحيها، والفتح الإسلامي لسيوة عام ١٨٢٠م، وخرائط موقعة نزيب.

رسالة من عمر طوسون إلى أمين سعيد – مؤرّخ الثورة العرابية – يشكره فيها على إهدائه مجموعة من الكتب إليه

حضرة المحترم الاستاذ أمين افندي محمد سعيد
وصلت لكم النفيسة المهداة الينا منكم وانا نشكركم على ذلك ونثني على جهودكم
في خدمة التاريخ والعلم وتقبلوا سلامنا ١٥/١٠/١٩٤٤
عمر طوسون

ساعد الأمير عمر أفراد البيت العثماني بعد أن طردهم كمال أتاتورك وأعلن تركيا دولة جمهورية بعد أن أسقط الخلافة، فتبرّع لهم بمبلغ أربعة آلاف جنيه مساعدةً منه

وكثير من هذه الأعمال، خصوصاً الجغرافية منها والتاريخية، كان عمل الأمير عمر فيها قائماً على السفر والترحال بنفسه، وكلها قائمة على التحقيق العلمي والأثري؛ فقضية مسجد النبي دانيال[٦]، الذي كان فيه قبران ينسبان إلى الإسكندر المقدوني والنبي دانيال، تحقق منها الأمير تاريخياً، وتأكّد من عدم صحة هذا الأمر، فقد استأذن من الجهات الرسمية والشرعية في الكشف عن القبرين، اللذين هما موضع تقديس وتبريك من الأهالي، فقدم الحقيقة للناس بعد الكشف عن القبرين وتأكده من عدم وجود شيء فيهما. وفي جانب الكشوفات الأثرية، يعود إلى الأمير الفضل في اكتشاف آثار المدينة المغمورة في خليج أبي قير.

ومن جانب آخر، كان الأمير لا يملّ من القيام برحلات استكشافية في الصحراء الغربية المصرية والليبية. أما السودان فكان له هو وأهله شأن خاصّ في دراساته ورحلاته العلمية، فأغلب أعماله الجغرافية الخرائطية كانت عن طريق المشاهدة تدقيقاً وتحقيقاً، خصوصاً المعنيّ منها بمصر والسودان؛ فقد أثرى بعطائه هذا المكتبتين المصرية والسودانية في جوانبهما الجغرافية والزراعية والتاريخية.

تلك هي صورة الأمير عمر طوسون، التي عكست لمن جاء بعده جمال صورة الأمراء عندما يكونوا علماء، وقد أشار الشاعر أحمد محرم - رحمه الله - إلى هذه المكانة التي اكتسبها الأمير عمر في قلوب من عرفوه وعاصروه، فقد نعاه الشاعر أحمد محرم[٧] في قصيدة بعنوان: «فقيد الشرق والإسلام»، يزيد عدد أبياتها على الأربعين بيتاً، اخترنا منها هذه الأبيات:

أأنتَ الذي وارَى الضريح المحبَّبُ
فيا لكَ من كنز جليل يُغَيَّبُ؟
حملتَ هُمومَ الناس دهراً فلم يزل
بك الدهرُ حتى ما يُواتيكَ مَنْكِبُ
وسعتَ ذوي الحاجات براً ورحمةً
وكنتَ الأبَ المأمولَ إن أعوزَ الأبُ
سجايا كريم، لا الرَّجاءُ مُخيَّبٌ
إذا أمَّه الراجي، ولا البرقُ خُلَّبُ
ومن ذكرك الباقي أوابدُ شرَّدٌ
تظلُّ مقيماً، وهي في الأرض جُوَّبُ
ويا طولَ وجدي إن ألَمَّت مُلمَّةٌ
وقيل: ألا أين «الأميرُ المُهذَّبُ»
سنذكره إن عاود الجهل وارتمت
أعاصيره من حولنا تتألَّبُ

وقد اكتفيتُ بهذه الأبيات التي وضعت الأمير عمر في الموضع الذي يليق به: شهادةً من الشاعر الإسلامي أحمد محرّم، رحمه الله.

وصية الأمير عمر طوسون بوقف مكتبته الخاصة

يعدّ نظام الوقف في المجتمع الإسلامي من أسمى القضايا التي عرفها هذا المجتمع؛ فأبوابه كثيرة ومتنوعة، وكلها في أبواب الخير. ومن صور الوقف وأنواعه ما ارتبط بجوانب العلم ومسائله؛ كالمدارس، والزوايا، والتكايا، والبيمارستانات، وغير ذلك مما يلحق بهذه الأمور. ومن المسائل والقضايا في موضوع الوقف مسألة الكتاب والمكتبات وما تحتويه؛ كمكتبة دار الحكمة في بغداد التي أنشأها الرشيد، وغيرها كثير من المكتبات. ونجد هذه الصورة الجميلة في تاريخ الحضارة الإسلامية مختلفة إذا قورنت بالحضارات الإنسانية الأخرى، وهي صورة جميلة لواقع الحضارة الإسلامية صاغها الدكتور يحيى محمود بن جنيد في دراسة علمية توثيقية قام على إعداد أصولها من مخزون تراث الأمة الإسلامية، وعنونها بـ«الوقف وبنية المكتبة العربية: استبطان للموروث الثقافي»[٨]، وقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بنشرها وطباعتها سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. وتناولت هذه الدراسة مسألة الوقف في المجتمع الإسلامي بوصفها صورةً من الصور الجميلة في تاريخ هذه الحضارة العظيمة، فما أقدم عليه الواقفون لمكتباتهم ترك لخلفهم الكريم تلك الصورة الكريمة التي عاشها سلفهم العظيم.

ويمثّل الأمير عمر طوسون فيما ذهب إليه من وقف مكتبته العامرة بنفائس العلوم والفنون والمخطوطات وجهاً مشرقاً من وجوه



أشاد طوسون ببطولة الأورطة السودانية المصرية في حرب المكسيك

الواقفين في مسيرة الحضارة الإسلامية؛ فمكتبته التي وقفها تقوم على أكثر من ثمانية آلاف مجلد في مختلف الفنون والعلوم، فهو كمسلم مؤمن أودع وصيته في خزانة مكتبه قبل وفاته بـ(١١) سنة، ولم تكن الوصية قد كُتبت في أيام وفاته رحمه الله، ووجّه نصّ الوصية إلى نجليه الكريمين: سعيد، وحسن. وجاء نصّ وصيته كالآتي: «حضرات نجلي العزيزين: سعيد طوسون، وحسن طوسون. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فمن نعم الله علينا وتوفيقه أن أُشربت نفسنا حب العلم ونشره، وتأصّلت فينا رغبة الاطلاع على ما في بطون الكتب من أخبار وعلوم. ولما في ذلك من حسن القصد، ونبيل الغاية، اتّجهت ميولنا إلى اقتناء نفائس المجلدات والكتب والتآليف: قديمها وحديثها، بمختلف اللغات، حتى أصبح لدينا مكتبة جامعة في شتى العلوم، وعلى الأخصّ في التاريخ والآثار والأدب مودعة في سرايات الرمل والمحمودية والزمالك وديوان الدائرة. ولما كان من رغباتنا بما حوته هذه المكتبة فقد رأينا أن نوصيكم بإهدائها - بعد انتقالنا إلى الدار الآخرة - للهيئات الآتية، راجين من الله النفع والمثوبة:

أولاً: كل ما يتعلق بالجيوش والحروب والمسائل العسكرية بجميع اللغات يُهدى إلى مكتبة متحف الجيش المصري.

ثانياً: كل ما يتعلق بالآثار بجميع اللغات يُهدى إلى مكتبة المتحف الروماني اليوناني بالإسكندرية.

ثالثاً: ما عدا ما تقدّم من كتب علمية وأدبية وتاريخية يُهدى إلى مكتبة الإسكندرية بقسميها الأدبي والإفرنجي.

فإن اشتمل كتاب أو مجلد أو تأليف على جملة نواح من التخصّص المتقدم كان الإهداء إلى الهيئة الأكثر ترجيحاً لما اشتمل عليه. وتتولى هذه الهيئات بواسطة مندوبين عنها، لكل هيئة مندوب واحد، وبحضور مندوب عنكما فرز المكتبة، ويتسلم مندوب كل هيئة ما يخصّها. ولا يشمل هذا الإهداء شيئاً من مجلدات الوقائع المصرية، ومجلدات الإحصاء الصادر عن الحكومة، والمجلدات والمذكرات التي تمتُّ بصلة إلى الدائرة وأعمالها.

والله نسأل أن يسدّد خطاكم، ويوفّقكم إلى ما فيه الخير والفلاح والفائدة للعالم أجمع، وللأمة المصرية خاصة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١١ إبريل عام ١٩٣٣م

والدكم عمر طوسون».

تلك هي وصية المرحوم الأمير عمر طوسون لنجليه سعيد وحسن كي يذهبا إلى العمل بمحتواها. والوصية إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على عظيم سجايا صاحب الوصية. ونزولاً على تنفيذ الوصية فقد اتّصل نجلاه بالجهات التي خصّها والدهما في الوصية، وتمثّل ذلك في صاحب المعالي حمدي سيف النصر باشا - وزير الدفاع - وسعادة أحمد كامل باشا - مدير بلدية الإسكندرية - وأمين المتحف الروماني اليوناني بالإسكندرية. وطلبا من هذه الجهات تشكيل لجنة ثلاثية تخصّ الجهات الثلاث لتسلّم وقف المكتبة. وتشكّلت اللجنة برئاسة أحمد كامل باشا[١٠]، وعضوية مديري المتحف الحربي ومكتبة البلدية والمتحف اليوناني الروماني في الإسكندرية، وأخذ كل فريق مستحقاته من هذا الموروث العظيم، الذي مضى على جمع واقفه له مدة خمسة عقود، وترك هذا الموروث لدى الجهات العلمية عظيم الأثر، خصوصاً مكتبة الإسكندرية العامرة، التي

نالت حظها منه، وهذا الأمر دفع القائمين على المكتبة إلى إقامة ندوة علمية في ١٧ فبراير عام ٢٠٠٧م إحياءً لذكرى الأمير عمر طوسون، ووفاءً له على ما خصّ به هذه المكتبة، وتحدث المشاركون في الحفل عن عظيم سجايا الأمير عمر، رحمه الله.

وفاة الأمير عمر طوسون

منذ عام ١٩٤٠م بدأت تظهر على الأمير عمر طوسون علائم المرض، فكان يلتزم فيها البيت، ومن هذا التاريخ كانت صحته في تراجع مستمر، وقد أجهده المرض، وهذا الأمر كان سبباً في الحدّ من نشاطه العلمي، وفي الأسابيع الأخيرة من حياته التزم الفراش، حتى وافته المنية في يوم الأربعاء ٣٠ من المحرم سنة ١٣٦٣هـ/ ٢٦ يناير عام ١٩٤٤م بعد عطاء علمي وخيري امتدّ طوال خمسة عقود أثرى فيها المكتبة العربية والإسلامية بالنفيس من مؤلفاته وأعماله المتنوعة في علومها وفنونها؛ كالزراعة، وعلوم التاريخ، والجغرافية، وعلوم الآثار، ويلحق بها عشرات الخرائط المتنوعة كالحربية والزراعية والمائية والجغرافية. وبوفاته - رحمه الله - خسر الوسط العلمي والفكري والاجتماعي والسياسي في مصر أكبر مؤيد ومناصر ومساعد له، ويوم تشييعه نعته جميع الأوساط العامة والخاصة، فكان منهم الأمراء والوزراء والشعراء والأدباء، وجاء في وصاياه عدم التكلّف في تشييعه، وأن يكون بعيداً عن الرسميات، فعندما أرادت الجمعية الزراعية الملكية المصرية إقامة حفل تأبيني بوفاته قصد مندوب الجمعية الإسكندرية - دار سكن الأمير وورثته - بقصد الاستئذان من ولديه سعيد وحسن لإقامة حفل التأبين، فكان ردّ ولديه هو الرفض نزولاً على وصية والدهم[11] بعدم القيام بأيّ عمل من هذا القبيل. ومن باب الوفاء من الجمعية للأمير عمر طوسون عمدت إلى جمع كلمات النعي والقصائد في كتاب عنونته بـ«ذكرى المغفور له الأمير عمر طوسون»، وهو يشمل تاريخ حياة الفقيد وترجمته، ومراثي الهيئات والأفراد التي تم جمعها من الصحف والمجلات العربية والأجنبية، وتم طبعه في يوم الأحد ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٥هـ/ ١٧ فبراير عام ١٩٤٦م، وقد بلغت صفحاته نحو (٢٦٠) صفحة، واحتوى على نفائس الأخبار في ترجمته من عارفيه، والثناء عليه؛ لما له من مآثر عظيمة طيّبت ذكراه بعد رحيله.

صفاته النبيلة ومآثره الكريمة

اتّصف الأمير عمر بعظيم السجايا والأخلاق؛ فقد كان عالماً حليماً نبيلاً عطوفاً على السائلين، وهو كما قال الأستاذ محمد كرد علي عندما وصله خبر وفاته: إنه أحيا المأمونية في شخصيته العلمية؛ نسبةً إلى الخليفة المأمون؛ فقد كان صاحب اهتمام بالعلم وأهله، وقد زيّن وجمّل ثوب الإمارة الذي كان كسوته بثوب العلم، فقد كان جواداً كريماً، تقياً حليماً، بعيد النظر، سديد الرأي، ثاقب الفهم، صائب الحكم، واسع المعرفة، غزير العلم، مفطوراً على الفضائل، كريم الصفات والشمائل، كما كان غيوراً على الإسلام والمسلمين، مناصراً لقضاياهم، محباً لإخوانه العرب، داعياً إياهم إلى توحيد كلمتهم في سبيل تحرير بلادهم، ناهض الاستعمار وسياسته أينما كان، خصوصاً

عمر طوسون في سطور

- هو الابن الثاني للأمير طوسون بن محمد سعيد بن محمد علي، وأمه هي الأميرة فاطمة إحدى بنات الخديوي إسماعيل.
- ولد في مدينة الإسكندرية يوم ٥ رجب سنة ١٢٨٩هـ / ٨ سبتمبر عام ١٨٧٢م، ولما بلغ الرابعة من عمره فقد والده، فكفلته وربته جدته لأبيه.
- كانت دراسته الأولى في القصر، ثم استكملها في سويسرا.
- رأس الجمعية الزراعية الملكية عام ١٩٣٢م.
- في عام ١٩١٠م، اكتشف غاستون غونديه - كبير مهندسي مصلحة الموانئ والمنائر - ميناء فاروس القديم، ووصف حواجز الأمواج والمنشآت العملاقة المغمورة تحت السطح بنحو ٨ أمتار. وقام عمر طوسون وغاستون بنشر نظريات وتفسيرات لاكتشافاتهما في الجمعية الأثرية بالإسكندرية.
- بلغ عدد الأديرة التي اكتشفها الأمير عمر طوسون ٥٢ ديراً.
- ينسب إليه العثور على رأس تمثال الإسكندر الأكبر في خليج العقبة، واكتشاف بقايا مدينة مغمورة بالماء على عمق خمسة أمتار في أبي قير بالإسكندرية عام ١٩٣٢م.
- توفي يوم ٢ يناير عام ١٩٤٤م، وكانت وصيته ألا تقام له جنازة، ونفذ له الملك فاروق وصيته.

الاستعمار الغربي بتعدّد دوله: البريطاني، والفرنسي، والإيطالي، وحارب السياسة البريطانية على أرض بلده وموطنه مصر والسودان، وحارب الفرنسيين بنصرة المغاربة والسوريين عليهم، وحارب الإيطاليين بنصرة إخوانه الليبيين ضدهم، والأحباش في بلادهم ضد المستعمرين الإيطاليين، وكان أسوته وقدوته في ذلك المجاهدان مصطفى كامل ومحمد فريد، وكلاهما ممن ناهض السياسة الاستعمارية البريطانية في مصر. فناهض الأمير عمر بريطانيا في مصر من خلال مشروع «ملز» عام ١٩١٩م من واقع كرهه السياسة البريطانية، وما ترتب على وجودها على أرض مصر، وذلك لإيمانه بأن مصر لن تتحقق نهضتها وبريطانيا جاثمة على أرضها، سالبة خيراتها. وقد تمّ إحصاء بعض القضايا التي كانت من مآثر الأمير عمر الكريمة تجاه بلده مصر وغيرها، وجاءت على الشكل الآتي:

- جمعية الهلال الأحمر المصرية: وكان صاحب الفضل في نشأتها، وقد تقلد منصب وكيل الرئيس العام لها.

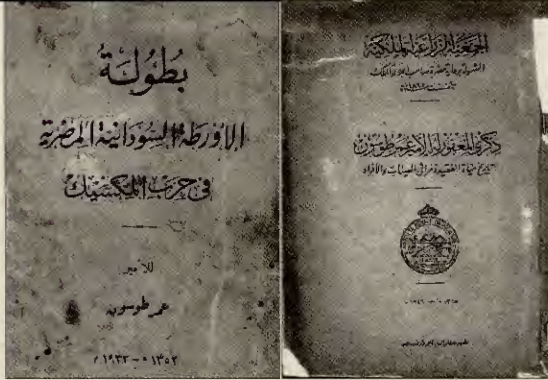
- الجمعية الخيرية الإسلامية في مصر: وكان له الفضل المباشر في دعمها بعد أن تراجعت في نشاطها الخيري وكادت تتوقف وتغلق أبوابها بسبب عجزها المالي؛ فقد استجاب لاستغاثة رئيس الجمعية، وتبرّع بخمسة آلاف جنيه، وتوجه بالدعوة إلى أهل الخير بدعمها من خلال التبرّع لها؛ إيماناً منه بسمو رسالتها الاجتماعية في مساعدة الفقراء والمحتاجين من أبناء المجتمع المصري.

- جمعية الشبّان المسلمين في مصر: كانت هذه الجمعية قد رسمت أهدافها ورسالتها في تحصين أبناء مصر من الشباب من الأفكار الوافدة، وتحذيرهم من خطورة المخدرات وشرب الدخان والمسكرات من خلال تقديم النصح لهم والتوجيه السليم، وأدرك الأمير عمر خيرية القائمين على هذه الجمعية واهتمامهم بالشباب وحسن رعايتهم.

- جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية في الإسكندرية: كانت هذه الجمعية على صلة مباشرة بالأمير عمر؛ لأنه أحد سكان الإسكندرية، وقد لمس الأمير من هذه الجمعية مآثرها الكريمة في الإسكندرية، واهتمامها بالفقراء ورعايتهم والتصدق عليهم، فقدّم إليها المساعدات المالية الكبيرة؛ سعياً منه إلى ديمومتها في تحقيق رسالتها النبيلة.

- جمعية منع المسكرات والمخدرات ومحاربتها: مع مطلع عام ١٩١٣م، أطلق الأمير عمر صيحته في التحذير من خطورة انتشار تدخين الحشيش في مصر، وقد وجدت جمعية منع المسكرات والمخدرات في الأمير عمر خير من يقف إلى جانبها في رسالتها في توعية الناس من خطورة المسكرات والمخدرات، فالتقى القائمون عليها الأمير يوم ٢٧ أكتوبر عام ١٩٢٢م، وعرضوا عليه دعوتها ورسالتها، وقد أحسن الأمير رفادتهم واستقبالهم، مؤكداً لهم مساندته ومساعدته لهم، وعدّت الجمعية يوم لقائها بالأمير هو يوم مولدها ونشأتها، علماً أن نشأة الجمعية كان يوم ٥ مايو عام ١٩٠٥م. وعلى المستوى الرسمي، كان الأمير عمر خير من وقف إلى جانب الجمعية لدى المسؤولين المصريين نصرةً لها في تحقيق رسالتها، حتى أصدرت الجهات الرسمية أكثر من قرار بتحريم الخمر ومنعه، وفي مايو عام ١٩٢٩م استجابت الحكومة المصرية لدعوة من حكومة فنلندا للاشتراك في مؤتمر دولي لمكافحة المسكرات، فتكفّل الأمير بنفقات سفر الوفد للمشاركة في هذا المؤتمر. ومن يتابع نشاط هذه الجمعية يجد أن

من مؤلفات الأمير عمر طوسون



كان صاحب اهتمام بالعلم وأهله، وقد زيّن ثوب الإمارة الذي كان كسوته بثوب العلم، فكان جواداً كريماً، تقياً حليماً، بعيد النظر، سديد الرأي، ثاقب الفهم

رسالتها قد حققت كثيراً من النجاح بسبب مساندة الأمير لها.

- عضويته في جمعية الآثار القبطية: كان الأمير عمر إنسانيّ النزعة، بعيداً من أيّ شكل من أشكال الطائفية؛ فهو صاحب مواطنة بالدرجة الأولى، لا فرق لديه بين القبطي والمسلم في الوجوه والجوانب الإنسانية؛ فقد عدّ نفسه عضواً في هذه الجمعية، وتبرّع لها بألف جنيه؛ لدعمها في نشاطها العلمي والتاريخي المعنيّ بتاريخ الأقباط في مصر.

- المجمع العلمي المصري: وقد ترأس الأمير هذا المجمع حتى وفاته.

- الجمعية الملكية الزراعية المصرية: أسّست هذه الجمعية عام ١٨٩٨م على يد الأمير حسين كامل، وفي مناسبة التأسيس أهداه الأمير عمر أول مؤلف له باللغة الفرنسية معنوناً إيّاه بـ(أبو الفلاح)، فغدا عضواً فيها، ثم صارت إليه وكالة رئاستها عام ١٩٠٧م، ثم أصبح رئيساً لها عام ١٩٣٢م بعد وفاة الأمير كمال الدين، واستمر رئيساً لها حتى وفاته. وكان للأمير عمر دور مباشر في العناية بهذه الجمعية، وما ترتّب عليها من اهتمام بتطوير الزراعة والعناية بها في مصر.

- الجمعية الجغرافية المصرية والجمعية التاريخية المصرية[١٣]: ارتبطت الجمعيتان بشكل مباشر برعاية الأمير عمر وإشرافه عليهما، ولا تكاد تجد كتاباً صدر عن إحدى هاتين الجمعيتين إلا واسم الأمير عمر عليه؛ فصلته بكلا العلمين - التاريخ والجغرافية - صلة مباشرة.

ومن مآثره الكريمة، التي حفظت له في طيّات الكتب، وحملت أخباره رحمه الله، الجامع الذي بناه في قرية (بهتيم) في مصر، والجامع الذي بناه في مدينة (جوبا) في جنوب السودان. وكان للسودان وأهله المنزلة الكريمة في قلب الأمير عمر، وفي المقابل بادله أهل السودان الحب والإكرام والتقدير؛ لما وجدوه فيه من حب لهم. وكانت للقضية الفلسطينية مكانة خاصّة في قلب الأمير عمر، فقد ناهض وعد بلفور الذي جاء على لسان وزير خارجية بريطانيا بمنح وطن قومي لليهود على أرض فلسطين. ولم يترك الأمير عمر باباً في سبيل مناهضة السياسة البريطانية والحركة الصهيونية من ورائها وإظهار الحق الفلسطيني إلا وطرقه؛ فقد انتدب عام ١٩١٩م وفداً مصرياً للمشاركة في مؤتمر فرساي في باريس، وكانت نفقات الوفد كاملةً من حسابه الخاص، ولما شهدت القدس المؤتمر الإسلامي الخاص بالقضية الفلسطينية عام ١٩٣٣م كلف الأمير عمر الأستاذ حامد المليجي حضور المؤتمر نائباً وممثلاً له، وقد ألقى الأستاذ حامد كلمة الأمير في المؤتمر، أهاب فيها بالمسلمين أن يتّحدوا من أجل قضاياهم، خصوصاً قضية فلسطين. وفي جانب إنساني إسلامي آخر، ساعد الأمير عمر أفراد البيت العثماني بعد أن طردهم كمال أتاتورك، وأعلن تركية دولة جمهورية بعد أن أسقط الخلافة، فتبرّع لهم بمبلغ أربعة آلاف جنيه مساعدةً منه لهم. وكثيرة هي مآثره رحمه الله، ومنها ما تبرّع به لشراء قطعة أرض في لندن لدفن موتى المسلمين فيها من المقيمين في بريطانيا، فرحم الله الأمير عمر طوسون بسبب جليل أعماله الخيرية ومآثره الكريمة.

جسّد الأمير عمر طوسون في عطائه العلم ذاكرة التاريخ الإسلامي المعنيّة بطبقة الأمراء والملوك والخلفاء، الذين خلّد التاريخ أسماءهم في ذاكرته بصفحات من نور

المراجع والهوامش

١- ذكرى المغفور له الأمير عمر طوسون، تاريخ حياة الفقيد ومراثي الهيئات والأفراد، الجمعية الزراعية الملكية المشمولة برعاية حضرة صاحب الجلالة الملك، التي تأسّست عام ١٨٩٨م/ ١٣٦٥هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، عام ١٩٤٦م، ص٢٠٠.
٢- المرجع نفسه، ص٢٠١.
٣- المرجع نفسه، ص١٣.
٤- المرجع نفسه، ص١٤.
٥- المرجع نفسه، ص٢٤٩.
٦- المرجع نفسه، ص٢٢.
٧- المرجع نفسه، ص٨١.
٨- لمزيد من التوسّع انظر: المرجع نفسه (الوقف وبنية المكتبة العربية)، ص١٤٣، ١٤٤.
٩- ذكرى المغفور له الأمير عمر طوسون، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٧.
١٠- المرجع نفسه، ص٢٤٤.
١١- المرجع نفسه، صفحات (أ. د. ج).
١٢- المرجع نفسه، ص١٥٣.
١٣- المرجع نفسه، ولمزيد من التوسّع انظر الكتاب ص١٠-٦٨.



عدد جديد من مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية

صدر مؤخراً العدد الأول من المجلد السادس عشر (المحرم - جمادى الآخرة ١٤٣١هـ/ ديسمبر ٢٠٠٩م - يونيو ٢٠١٠م) من مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، وهي دورية علمية محكمة تهتم بقضايا الكتب والمكتبات والببليوجرافيا، وتقنية المعلومات، والتوثيق العلمي، إلى جانب عنايتها بمصادر تاريخ المملكة العربية السعودية.

وقد تضمّن العدد الجديد مجموعةً من الدراسات العلمية، والببليوجرافيات الموضوعية، والمراجعات النقدية، من خلال الحقول الثابتة للمجلة. فشملت الدراسات: تقويم خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية: دراسة حالة لمكتبة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، لحمد بن إبراهيم العمران، واتجاهات طلاب المرحلة الجامعية الأولى نحو استخدام المصادر الإلكترونية، لعبدالرشيد بن عبدالعزيز حافظ، والأرشفة الإلكترونية: نموذج تطبيقي للاستخدام التقني بجامعة الملك عبدالعزيز (معامل علم النفس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - شطر الطالبات)، لهدى بنت محمد العمودي، ومدى استخدام مصادر المعلومات الإلكترونية: دراسة حالة لأعضاء هيئة التدريس بكلية علوم الحاسب والمعلومات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض، لمسفرة بنت دخيل الله الخثعمي، والميتاداتا ودورها في دعم المحتوى الرقمي: دراسة تطبيقية على مواقع دوريات الوصول الحر في المكتبات والمعلومات على الإنترنت، لأحمد عبادة العربي، والقياسات الإلكترونية في المكتبات الأكاديمية بدول الخليج العربي: دراسة مسحية، لأمجد بن عبدالهادي الجوهري، والوصول الحرّ للمعلومات: طريق المستقبل في الأرشفة والنشر العلمي، لعبدالرحمن فراج، واتجاهات أعضاء هيئة التدريس بجامعة قطر نحو تطبيق مصادر المعلومات المتاحة على الويب، لمتولي النقيب، والتقويم الذاتي لمؤسسات المعلومات الجامعية: دراسة تطبيقية على مكتبتي جامعة الملك عبدالعزيز وجامعة الملك سعود، لخالد بن سليمان معتوق، ومكتبات رياض الأطفال ودورها في تنمية ثقافة النشء: دراسة ميدانية استبانية (الجزائر نموذجاً)، لمحمد عبدالهادي. وشملت المراجعات: معلمة المغرب ونظرات أعلامها، لمحمد خير رمضان يوسف، وأضواء على كتب حديثة، لأمين سليمان سيدو، والبحوث الجارية، لنبيل بن عبدالرحمن المعثم.

جدير بالذكر أنه يرأس تحرير هذه المجلة الأستاذ علي بن سليمان الصوينع أمين مكتبة الملك فهد الوطنية، ويدير تحريرها الدكتور أمين بن سليمان سيدو.



الحركات السلفية في المغرب

صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب (الحركات السلفية في المغرب ١٩٧١-٢٠٠٤م: بحث أنثروبولوجي سوسيولوجي) للدكتور عبدالحكيم أبو اللوز، ضمن سلسلة أطروحات الدكتوراه (٧٩). ويسهم هذا الكتاب/ الأطروحة في مشروع تفكيك الميكانيزمات التي تسمح بتكوين المنحى السلفي في المغرب (١٩٧١-٢٠٠٤م).

ويرى الباحث في تحديده المفهوم المركزي في هذه الدراسة؛ أي: مفهوم السلفية، أن هذا المفهوم يدلّ على نزعة احتجاجية على التطورات التي طرأت على مستويين من مستويات الدين: العقائدي، والتعبّدي؛ فعلى المستوى العقائدي تهتم النزعة السلفية بعملية إعادة تقنين الدين، هادفةً إلى

كتب

الترشيد الميتافيزيقي والأخلاقي للعقائد المعيشة، وعلى المستوى التعبدي تهتم النزعة السلفية بعملية إعادة تقنين الشعائر الدينية بتوحيد نماذجها، وكلماتها، وإشاراتها، وإجراءاتها؛ لكي يحافظ الدين على النشاط الشعائري الأصلي في مواجهة البدع المستجدّة.

وقد أدرج الباحث فصول كتابه في قسمين: درس في القسم الأول السلفية بوصفها أيديولوجية دينية؛ إذ عمد إلى تفكيك الجهاز الأيديولوجي للخطاب السلفي، وبسط ما يحتويه من رموز ومعانٍ. وبدا اهتمامه في القسم الثاني بالمواقف الملموسة للسلفيين المغاربة من خلال وصف مكثّف للممارسات التي يكشفها الواقع. كما سعى في هذا القسم إلى تحقيق قيمة إثنوغرافية مضافة من خلال المعطيات التي نجح في جمعها عن طريق البحث الميداني. وقد خلص البحث إلى نتائج، من أبرزها:

- ما شهدته الحركات السلفية - موضوع الدراسة - من موجات انشطارية أفضت إلى كثير من الاتجاهات، التي يصل الاختلاف بينها إلى حدّ التناقض.

- التيار الغالب الأكثر انتشاراً بين السلفية المغربية هو تيار ما يُعرف بـ(السلفية التقليدية)، الذي يركّز في قضية تصحيح الاعتقاد، ومسائل العبادات، ويليه تيار (السلفية العلمية)، الذي يعتمد إحياء التراث وتحقيقه، وتكوين نخبة علمية سلفية، ثم (السلفية الجهادية)، التي يناصر بعض أتباعها الجهاد في الخارج، ويفضّل بعضها الآخر الجهاد في الداخل.

طبعة ثانية من «إكليل الخلاص» للمزيني



صدرت عن دار الانتشار العربي البيروتية الطبعة الثانية من رواية (إكليل الخلاص) للروائي محمد المزيني، التي تقع في ٣٣٠ صفحة، بعد نفاد طبعتها الأولى في مدة زمنية وجيزة.

والسمة الغالبة على روايات المزيني عامةً أنها تتماسّ مباشرةً مع قاع المجمع السعودي، وتتخذ منه مادةً سردية عالية التكثيف والاستحضار، كما أنها تشتغل على اللغة الخاصة المتّسمة بالحساسية المفرطة للمفردة الوصفية، ثم المكان، وهو ركن أساسي عند المزيني يتعاطى مع نصوصه الروائية كحالة مستقلة. وتكشف (إكليل الخلاص) بين طياتها كثيراً من العقد؛ فليس ثمة عقدة واحدة تستأثر بالنص، إنما تمرّ من خلال مجموعة من الحبكات التي تنجدل في مواضع، وتنفكّ في مواضع متقدمة؛ فانحلال العقدة الأولى تفرج عن عُقَد تتوارى خلفها.

سنجد أننا أمام طريق علينا اجتيازه بحذر؛ فالقراءة لا تتم في حالة استرخاء مفرط؛ لأنها لا تحاكي الحياة بطريقة انطباعية تستخدم الدهشة الفطرية؛ فهي تؤجّلها حتى تمنح القارئ استمرارية الارتباط والكشف؛ فوقائعها تحتاج إلى نوع من الغوص في عمقها لاستخراجها، ربما لا يشابهها فيما يطفو على السطح سوى الاحتمال، بيد أن استلهامها وحبكها في رواية يلقي عنها أستارها، ويكشف عوراتها؛ لأنه ببساطة جرّدها من رتابتها. وهنا يأتي المشهد مماثلاً أو مسايراً للمشهدية السينمائية بأن يوقع للحياة عنفها المخبوء، ويسلط عليها الضوء والصورة التي تلتقط أدقّ الأشياء داخلها، وهو ما يوقع المتلقي في حالة نفسية تجاري الحدث من خوف أو فرح أو كره أو حب. لذا، فإن إكليل الخلاص من النوع الذي لا يسرد رتابة الأحداث بقدر ما يكتشفها، إنما تأخذ الشكل المتداخل ذا الزوايا الحادة؛ حتى ليخيّل للقارئ أنه أمام عالم غرائبي منسوج من عمق مجتمع تدوسه أقدار وحشية موقعة بحدثية مشخصنة؛ لتقترب بالصورة إلى حدود قناعات القارئ. لذلك يدخل القارئ المتعجل في متاهة سريعاً ما تنحلّ؛ لأنه يقدم لنا شخوصاً من جنسيات مختلفة وفي أمكنة متعددة في أزمنة متغايرة.

والجدير بالذكر أن الرواية قد فُسحت محلياً، وستجد طريقها قريباً في المكتبات السعودية.

طاقة أزهار للأدب وأخرى للفلسفة

عزت صباغ
بريتاني سيور أرج - فرنسا

أقول: الأدب سلّم يرتقي بك إلى جمال تعبير تتذوقه؛ ليتسع فيما بعد من داخل نفسك وهي تمعن فيما يدور حولها بطاقة من حساسية زوّدها بها الأدب.

والأدب علوّ إلى قيم المنال الرئيسة: الخير والجمال، وإلى (نسبيّة) من (الحق) تعيد بها ما تستطيعه من بناء هذا الواقع كبقية الفنون.

وأقول: «الفلسفة بحر عظيم تغوص فيه على (لب العلوم) و(روح الثقافة) بعد تحصيلك منها بطموح كبير، فتعيد بها ما تقدر عليه من تحصين هذا العالم بما تتطلبه كرامة الإنسان».

يقتصر الأدب من صفحات التاريخ على الإمعان في أحواض أزهاره (بتأمّل نقدي) قد يطيل النظر ويكرّره في بعض منها، وقد يقصره عن بعضها الآخر، طبقاً لما تعكسه من تطلع إلى حياة تسري في إيقاع الأديب، وتجول في أعماقه.

يخفق في صدر الفلسفة قلب إنساني، ويشع من عينيها عقل نيّر، تقلّب بهما صفحات التاريخ؛ لتنثر أفكاراً تحلّل ما يدور على هذه المعمورة سلباً وإيجاباً، وتفضي إلى نتائج يناسق العقل بينها لتكون قيد التداول بتواضع فلسفي جم.

لا تسكن الأزهار الفلسفية أحواضها كل الوقت، بل تحوم حول أهداب عيني الإنسان، تزوّده عطر أفكارها؛ لتشعّ بها عينا عقله فيما يدور حوله من حركة.

العاطفة قوام الأدب، والمنطق أساس الفلسفة. وعليه، عندما يتطلّعان إلى فسحات الحياة المزدحمة بالتكاثر والحركة يحومان فوقها وحولها، وقلبهما ينبض بمنزلة محرّك لاستمرار هذا (الوجود) جميلاً بما يستطيع الأدب فعله، ومكيناً بما يقدر عليه الفكر الفلسفي.

الفسحات المزدحمة بالحياة يستتبعها فسحات مزدحمة بالموت والشواهد على القبور. ثنائية تناقض تدعو إلى الإمعان فيما يدور؛ وذلك (لتقويم النفس)؛ وليقبع صاحبا هذه الثنائية - زارادشت، وماني (Zorathustra - et Manie) - في تاريخ الفلسفة للاستئناس بهما كما فعل الألماني هيغل (Hegel- 1770- 1831) وهو بصدد استخلاص (النتيجة) من (سالب) ومن (موجب)، إلا أنه تجاوزهما: فلم يكتفِ بالتوقف على (الحكمة) من مجرد استعراض (التناقض) أعلاه، وإنما ولج إلى نتيجة أفسحت المجال واسعاً لتجول الفكرة فيه على ثلاث مراحل: الطبيعة، والمنطق، والقانون. وهكذا احتضن هذا الفيلسوف الحياة وكل حركة فيها بالواقعية والنظام.

وعليه، يخطئ أستاذ الفلسفة أمام طلاب مبتدئين في المادة عندما يقتصر على التعريف المعروف للفلسفة (PhiloSophia)؛ أي: محبة الحكمة، من دون أن يقرنه على الفور بـ«الفلسفة محبةٌ

لحياة، وتوق إلى تنظيمها». ولأنها كذلك فهي المؤهلة لبناء السياسة. وعليه، كان أفلاطون مصيباً في دعوته إلى اختيار الحكام من الفلاسفة في كتابه (الجمهورية).

فتحية إلى الفلاسفة كلما أمعنوا في شقّ نهج أخلاقي جديد في كل صعيد ينهض بالإنسان.

أدبياً وفلسفياً: هأنذا أمعن في تشاؤم أبي العلاء المعري في مقاطعه المتفرقة ولزومياته؛ مثلاً:

لِدُوا للموت وابنو للخراب فكلكمُ يصير إلى تباب

أو

هذا جناه أبي عليَّ ومـــا جنيتُ على أحد

فأقدّر على الفور الحالة النفسية التي تعذّب ضريراً، فيجول متأملاً في الحياة، وقد يكون هذا دافعاً لأستاذنا يوسف كرم - الدارس والمؤرخ الفلسفي والأستاذ الجامعي في المادة نفسها - إلى أن يصنّف نتاج أبي العلاء في (تاريخ الفلسفة العربية).

أنا، ومن منطلق الذاتية في النقد، أحبذ أستاذنا جبران مسعود - الدارس ومؤرخ الأدب العربي وأستاذه - لأن يصنّف أبا العلاء بإبداعه في (تاريخ الأدب العربي)؛ لأن قوة العاطفة في نصوصه لا يوازيها امتداد وعمق طموح في الفكرة حتى نطرق بأديبنا الكبير باب الفلسفة.

تربوياً ونفسياً: أتمنى من أصحاب مناهج التعليم العرب أن يداوموا على تثبيت خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي (أنا ابن جلا) في مناهج تعليم (الأدب العربي)، ومنها: «أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها». ومع ذلك لا يقتصر الأمر على ما قاله - لا فضّ فوه - وإنما لحثّ أجيالنا المتعاقبة على أن تمعن في كل ما دار في تاريخنا، فتقارن وتمايز بين تغيّر الظروف والأحوال؛ لتبني مستقبلاً أفضل على أساس رؤيتها البعيدة وقد كوّنتها بالإمعان السابق.

لذا نحن - العرب - معنيون بالعمل الجاد الرصين لنرفع من قيمة الإنسان العربي في زمانه ومكانه وحركته. فإذا ما وازيتُ مع العمل الجاد السابق ذلك التوجّه نحو الخلق الإبداعي والفكري أقول:

«إن الأدب والفلسفة عطاءان حضاريان وهبة سخية من أفراد موهوبين، أخصّ منهم الأدباء الذين استقوا من عصارة الفلسفة، وتنفسوا حياة من رحيقها، فأبدعوا شعراً، وتألقوا نثراً في المقالة والرواية وأدب (القصة القصيرة) القريب إلى نفسي». أنحني محيياً الأدب والفلسفة، وأتقدم إلى الأدب بطاقة أزهار، وإلى الفلسفة بطاقة أزهار أخرى.